السنة السادسة عدد (٣١)
١٥/ محرم / ١٤٢٢هـ

رسالة إسلامية منهجية جامعة

الأصالة

٣١

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

اقرأ في هذا العدد

اليهود والنصارى في ضوء القرآن والسنة ..... الشيخ هشام العارف
صفات التوابين في ضوء حديث المخلفين ..... الشيخ سليم بن عيد الهلالي
قواعد في الطب النبوي ..... الشيخ محمد بن موسى آل نصر
السلفية واحدة ..... التحرير
وسائل بناء الجيل المسلم ..... الشيخ الدكتور صالح السدلان
شروط الجهاد في سبيل الله ..... الشيخ عثمان الصومالي
التوحيد عند أهل السنة وأقسامه ..... الدكتور محمد الخميس
مجالات الإصلاح عند الشاطبي ..... الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان
مذكرات (همفر) في الميزان ..... مالك بن حسين
«من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه» ..... الشيخ علي بن حسن الحلبي
حكم إلقاء السلام على المصلي ..... محمد ماهر الخطيب
رثاء لفقيه الأمة ..... أيمن حسن خالد

ضمن هذا العدد

كشّاف تحليلي للأعداد من (١٣ - ٣٠)

(«الأصالة»؛ أشعر أنها اسمٌ على مسمّى - إنْ شاء الله -).

الشيخ العلامة / محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله -

«مجموع فتاويه» (رقم ٦٣١٨)

الناشر: مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والبحوث العلمية

ت: ٠٠٩٦٢ - ٦ - ٥٠٥٤٠٥٣

السنة السادسة عدد (٣١)
١٥/ محرم / ١٤٢٢هـ

رسالة إسلامية منهجية جامعة

الأصالة

٣١

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر في منتصف كل شهر هجري، ومرة كل شهرين مؤقتاً

أسرة التحرير:
الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري ..... رئيساً
الشيخ سليم بن عيد الهلالي ..... عضواً
الشيخ د . محمد بن موسى آل نصر ..... عضواً
الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ..... عضواً

إخواننا القراء:

نرحب بكل مقال علمي رصين،
ونرغب في كل نقد هادف بنّاء
في (الأصالة):
منبر لكل مسلم مخلص داعٍ إلى الحق..
- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

الاشتراكات
- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً) .
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً) .
- أوروبا (٣٠ دولاراً) .
- أمريكا (٥٠ دولاراً) .

ثمن النسخة
الأردن (دينار) ، الإمارات المتحدة (١٠ دراهم) ، البحرين : (دينار) ، السعودية : (١٠ ريالات) ، الكويت : (٨٠٠ فلس) ، أوروبا : (٤ دولارات) ، أمريكا : (٥ دولارات)

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم(١٣٢٨/٣/٤)

الإخراج الفني: وائل البتيري (٠٧٩/٨٥٣٢٣١)

عنوان المراسلة

الأردن :
عمان - مخيم حطين
ص . ب (٩٨) رمز بريدي (١٣٧٨١) .
تلفاكس : ٥٠٥٤٠٥٣ - ٦ - ٠٠٩٦٢

تطلب (الأصالة) من :

الولايات المتحدة :
AL-QURAN WAS-SUNNAH SOCIETY (QSS)
19800 VAN DYKEROAD
Detroit 48234-3354
Tel: (313) 893 - 3768
Fax: (313) 893 - 3748

بريطانيا وإيرلندا :
Salafi Pubications
17 - 19 Muntz Street
Small Heath
Birmingham Bio 9SN
TEL: (44) 121 773 0003
(44) 121 773 0033
FAX: (44) 121 773 4882
E-mail: enquiries@Salafipubications.com
WebsiteL: WWW.SalafiBookstore.com

اليمن :
مكتبة الإدريسي السلفية - صنعاء - شارع تعز - قرب فندق الوطن - هاتف ٦٢٠٢٢٧ - ٢٦٣٩١٤

الإمارات : جمعية دار البر - دبي

البحرين : مكتبة التوحيد

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم .

خطبة الحاجة

إنَّ الحَمْدَ لله ؛ نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

● **فاتحة القول: السلفية واحدة**

التحرير ٥

● **تأملات قرآنية: اليهود والنصارى في ضوء القرآن والسنة**

الشيخ أبو عبدالرحمن هشام العارف المقدسي ٧

● **الكلم الطيب: صفات التوابين في ضوء حديث المخلفين**

الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي ١٣

● **مباحث عقدية: التوحيد عند أهل السنة، وأقسامه**

الدكتور محمد بن عبدالرحمن الخميس ٢٥

● **في رحاب العلم: وسائل بناء الجيل المسلم على أسس من العلم الشرعي**

الشيخ الدكتور صالح السدلان ٣٢

● **وفاء ورثاء: زفرةٌ وأنين... على إمام المحدّثين**

محب الدين أبو بكر السُّنِّي ٣٥

● **اكتملت الأحزان، وانتقصت الأرض، وقضى نحبه فقيه الأمة**

أيمن حسن خالد ٣٨

● **الكتب تعريفاً ونقداً: مذكرات (هَمفر) في الميزان**

مالك بن حسين ٤٢

- **مناهج العلماء: مجالات الإصلاح عند الشاطبي**

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٤٩

- **تزكية النفوس: «من ترك شيئاً لله: عوضه الله خيراً منه»**

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثريّ ٦٠

- **السياسة الشرعية: شروط الجهاد في سبيل الله**

الشيخ عثمان بن معلم الصومالي ٦٢

- **قضايا فقهية: حكم إلقاء السلام على المصلي**

أبو البراء محمد ماهر الخطيب ٦٩

- **الطب النبوي: قواعد في الطب النبوي**

الدكتور الشيخ أبو أنس محمد بن موسى آل نصر ٧٣

- **مسك الختام: الإسلام وتكسير الأصنام**

التحرير ٧٦

- **كشاف تحليل لأعداد مجلة «الأصالة» من (١٣ - ٣٠)** ٨٢

السَّلفيَّةُ .. واحدةٌ

● بقلم: التحرير

من أعجب ما تردَّد على الأَسماع، وانتشر - بأَخرةَ - وذاع: قولُ بعض الرَّعاع، من أهل الجهل والابتداع: أنَّ السلفيّةَ أنواع !!

قالوا:

سلفيّة تقليدية !

و:

سلفيّة جهاديّة !

و:

سلفية تجديديّة !

و:

سلفية رسميّة !

و:

سلفيّة شرعيّة !

و:

سلفيّة إصلاحيّة !

... نعم، هكذا يُصَنِّفون، ولا يُنْصِفُون !! وهكذا يَفْتَرُون، ولا يَفْتُرُون !!

وهم في هذا - كلِّه - على غير الحقِّ، بل هم في باطلٍ صُراح؛ فالسلفيَّةُ منهجٌ ربّانيٌّ مُتوارَثٌ؛ يأخذُهُ الخالفُ عن السالف، والأبناءُ عن الآباء، والأحفادُ عن الأجداد...

وأعظمُ ما يميِّزُ السلفيّةَ - على تعدُّد مزاياها - الاستسلامُ لِمَا فيها من حقٍّ مُتَلَقّىً عن السَّلَف، والالْتِئامُ بما مع عُلمائها من نورٍ كالدُّرِّ في الصَّدَف...

أمّا الأَغيارُ؛ المغيِّرون: تحت ستار التجديد...

والمفسِدون: تحت غِطاء الجهاد...

والمُبَدِّلون: تحت عباءَة الإصلاح...

فأَوراقُهم مكشوفةٌ، ونَغَماتُهم نَشَاز...

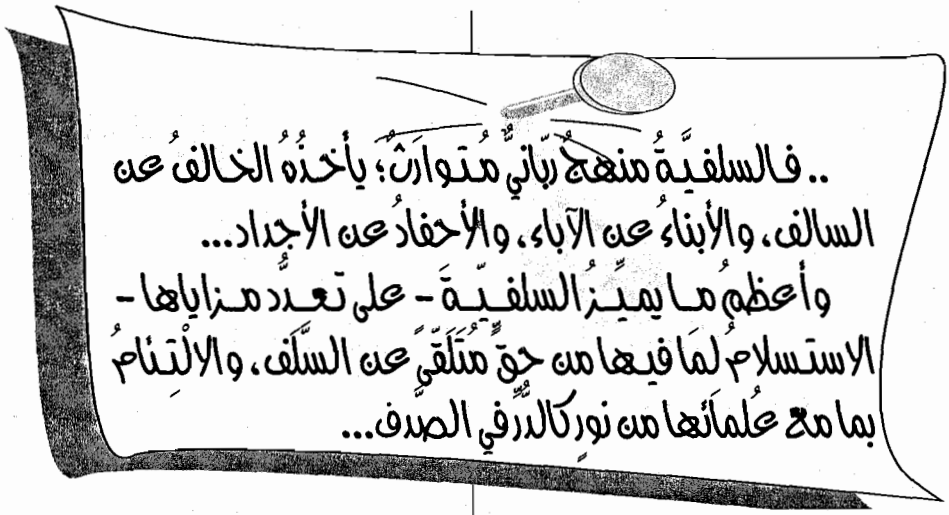

لقد انتسبوا إلى السلفيّةِ - ظاهراً -، ثم خالفوا - في الحقيقة - أئمتَها وكبراءَها؛ الألبانيَّ، وابنَ عثيمين، وابن باز...

لقد تَسَرْبلوا لبوسَها بثيابِ رقراقةٍ شفّافة... فَسَرَعان ما انكشفت منهم العورات، وبدا لكلِّ ذي عينين ما أخفَوْا من سَوْءات !!

والعجبُ - منهم - يصلُ أعلاه، ويرقى إلى أرفع مَداه: عندما نَسْمَع بعضَ أغمارهم يصفُ المخالفةَ التي تلبّس بها، وغَرِقَ في ظلمها وظلامها، أنها: (السلفيّة الشرعيّة) !! ترصُّداً، وتصيُّداً، ثم يعلو بصوتِه، ويرفعُ لعقيرته؛ واصفاً أهل الحقِّ - الذين لم يُغيِّروا، ولم يتغيَّروا - بأنّهم: أهل (السلفيّة الرسميّة) !! غمزاً، وأزّاً...

ثم لا تكادُ تمضي شهورٌ، أو أسابيعُ، أو أيّام... فإذا بأمثالِ (هؤلاء) الطاعنين، يقعون في أَحْضانِ (الرسميِّين) !! وهم يعلمون - جيّداً - أنَّ الذين طَعَنُوا فيهم بـ(الرسميّة) هم أبعدُ الناس عن (الرسميّة) !! وأقلُّ الناسِ ارتباطاً بـ(الرسميّة) !!

لكنّه الهوى يهوي بصاحبهِ إلى مهاوي الردى، ويُبعِده عن عوالي الهدى...

السلفيّةُ واحدةٌ.. حقٌّ؛ ينمو وينتشر، ويعلو وينتصرُ.. لا يُبالي أهلُهُ بمن يُخالِفُهم - أو يخذُلُهم - أم يُوافِقُهم - أو يأتلفُ معهم -: لَطَالَمَا أنّهم للحقِّ ينصرون، وللباطلِ يكسِرون..

اليهود والنصارى في ضوء القرآن والسنة

● بقلم: الشيخ هشام العارف المقدسي

في «اللسان» : الهود : التوبة ، هاد يهود هوداً وتهوّد : تاب ورجع إلى الحق ، فهو هائد . وقال الراغب الأصفهاني : وهود في الأصل : جمع هائد ، أي : تائب ، وهو اسم نبي ـ عليه السلام ـ ، والهود : الرجوع برفق ، وصار الهود في التعارف : التوبة ؛ كقوله - تعالى - في سورة الأعراف : ﴿واكتُبْ لنا في هذه الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ إنَّا هُدْنا إليك﴾ ، أي : تبنا ورجعنا وأنبنا إليك : قاله ابن عباس ، وسعيد ابن جبير ، ومجاهد ، وأبو العالية ، والضحاك ، وإبراهيم التيمي ، والسدي ، وقتادة ، وغير واحد ، وقال ابن كثير : وهو كذلك لغة . وقال ابن سيده - فيما نقله ابن منظور - : عدّاه بإلى ؛ لأن فيه معنى رجعنا ، وقيل : معناه : تبنا إليك ، ورجعنا ، وقربنا من المغفرة .

قال الله ـ تعالى ـ في سورة البقرة : ﴿إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وعَمِلَ صالحاً فلهُمْ أجرُهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ .

فقوله - عز وجل - : ﴿إن الذين آمنوا﴾ أي : المسلمين ، ﴿والذين هادُوا﴾ وهم حملة التوراة ، ﴿والنصارى﴾ وهم حملة الإنجيل ، ﴿والصابئين﴾ اختُلف فيهم ، والذي ذهب إليه ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد أن عرض أقوال الناس فيهم ، قال : «وأظهر الأقوال ـ والله أعلم ـ قول مجاهد ومتابعيه ، ووهب بن منبه : أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ، ولا النصارى ، ولا المجوس ، ولا المشركين ، وإنما قوم باقون على فطرتهم ، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه ؛ ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ ، أي : أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك ، وقال بعض العلماء : الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة

نبي ، والله أعلم» . ا . هـ .

وقوله ـ عز وجل ـ : ﴿مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخر وعَمِلَ صالحاً فلهم أجرُهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ قال الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ : «والصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف من حيث هم ، لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد ﷺ ، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد ﷺ ، وأن هذا مضمون أحوالهم ، وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام ، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم ؛ لأنه تنزيل من يعلم الأشياء قبل وجودها ، ومَن رحمته وسعت كل شيء ؛ وذلك ـ والله أعلم ـ أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمّهم ، وذكر معاصيهم وقبائحهم ، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم ، فأراد الباري ـ تعالى ـ أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه ، ولما كان – أيضاً – ذكر بني إسرائيل خاصة يوهم الاختصاص بهم ، ذكر الله حكماً عاماً يشمل الطوائف كلها ليتضح الحق ، ويزول التوهّم والإشكال ، فسبحان مَن أودع في كتابه ما يبهر عقول العالمين» أ . هـ .

فقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ : «فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد ﷺ» ، له ما يؤيده من سلفه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فقد قال في كتابه «تفسير آيات أُشكلت» (صفحة : ٢٤١) : «قوله تعالى : ﴿إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين﴾ : هل هو خبر عن كل مَن دخل في هذه الأسماء ، وإن كانوا قبل مبعث محمد ﷺ؟ أو هو مختص بمن كان موجوداً بعد مبعثه كآيات الأمر والنهي التي بعث بها؟ فإنه إنما يؤمر وينهى على لسان مَن بُعث إليهم ، وهم الذين بلغتهم رسالته من حيث بعث ، وإلى يوم القيامة كما قال ـ تعالى ـ في سورة الأنعام : ﴿قُلْ أيُّ شيء أكبرُ شهادةً قلِ اللهُ شهيدٌ بيني وبينَكم وأُوحيَ إليَّ هذا القرآنُ لأُنذرَكم به ومَنْ بَلَغَ أئنَّكم لَتَشهدونَ أنَّ مع الله آلهةً أُخرى قل لا أشهدُ قل إنما هو إلهٌ واحدٌ وإنَّني بريءٌ مما تُشركون﴾ ؛ فكل مَن بلغه القرآن فقد أنذره به الرسول ، والإنذار به هو الإخبار بالعذاب لمن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به» .

وقال ـ رحمه الله ـ : «فظنّ بعض الناس أن الذين أخبر عنهم ـ في الآية ـ بالنجاة والسعادة ليسوا إلا ممن بُعث محمد ﷺ إليهم ، لم يخبر فيها بحال من كان موجوداً قبل مبعثه ، وغلطوا فيها في الفهم ، ثم افترقوا على أقوال متناقضة تخالف لفظ الآية ومعناها» .

وقال : «الصواب هو القول الآخر ، وأن الآية عامة تتناول من اتصف بما ذكر فيها قبل مبعث الرسول ، وهو الذي يدلّ عليه لفظ الآية ، ويعرف به معناها من غير تناقض ، ويعرف به قدرها ، ويظهر به مناسبتها لما قبلها

ومـا بعـدها ، وهذا هو القـول المعـروف عن السلف وجمهورهم ، وعليه يدلّ ما ذكروه من سبب نزول الآية .

كما روي في «صحيح مسلم» ، و«مسند أحمد» عن عِيَاض بن حِمَار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خُطبته : «ألا إنّ ربي أمرني أن أُعلّمكم ما جهلتم مما علّمني يومي هذا ، كلُّ مالٍ نحَلْتُهُ عبداً حلالٌ ، وإني خَلَقْتُ عبادي حنفاء كلّهم ، وإنهم أتَتْهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحلَلْتُ لهم ، وأمرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزّل به سلطاناً ، وإنّ الله نظَرَ إلى أهل الأرض فمقَتَهُم عربَهم وعجمَهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بعَثْتُكَ لأبتليَك وأبتليَ بك ، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسلُهُ الماءُ تقرؤهُ نائماً ويقظانَ . . .» الحديث بطوله .

وأيضاً ؛ فقد ثبت عنه ﷺ أنه أثنى على مَن مات في الفترة مثل زيد بن عمرو بن نفيل ، وغيره» .

وقال ـ رحمه الله ـ : «فكان إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى حتى جاء عيسى ، فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وسنة موسى ، ولم يتبع عيسى كان هالكاً ، وكان إيمان النصارى من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه ، حتى جاء محمد ﷺ ، فمن لم يتبع محمداً ﷺ كان هالكاً» .

وقال ابن تيمية : «ولم يذكر ابن أبي حاتم في هذه الآية خلافاً عن السلف ، إلا ما ذكره من اختلافهم في الصابئين ، وذكَر عن ابن عباس في تفسيرها قال : «من وحّد الله وآمن باليوم الآخر يقول : أقر بما أنزل الله ، ثم أنزل الله بعدها : ﴿ومَنْ يبتغِ غيرَ الإسلام ديناً فلَنْ يُقبلَ منه وهو في الآخرةِ من الخاسرين﴾» أ . هـ .

قلت : وقد استُشكل معنى هذه الآية : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ على بعض المفسرين حتى زعم أنها منسوخة بقول الله – تعالى – : ﴿ومَنْ يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يُقبلَ منه وهو في الآخرةِ من الخاسرينَ﴾ ، وليس فيها استشكال ولا نسخ ، فكل يهودي لا يؤمن بمحمد ﷺ فهو كافر بموسى ﷺ ، وكل نصراني لا يؤمن بمحمد ﷺ فهو كافر بعيسى ﷺ ؛ لأن دين الأنبياء هو دين الله الإسلام .

ثم قال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر : «وهذا كله مما يبين أن الصواب هو القول الأول ، وهو أن الآية عامة ، تضمنت الخبر عن أديان أهل الأرض التي أصلها صحيح في أهلها ، وهم سعداء ، وذلك أن الدين إما أن يكون أصله حقاً كدين أهل التوراة والإنجيل والقرآن ، أو أصله باطلاً كدين المشركين .

والذي أصله حق : إما أن يكون صاحبه

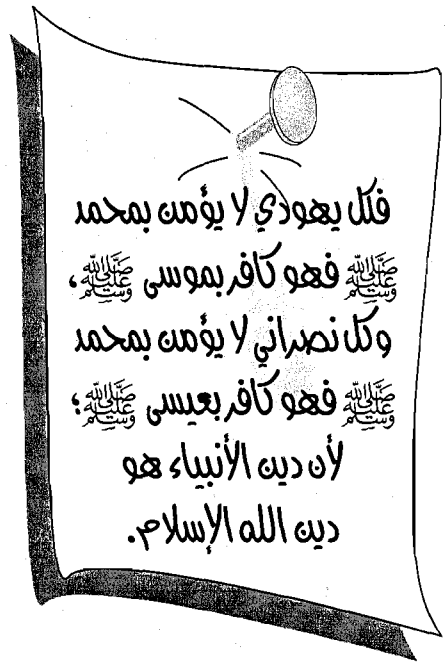

متبعاً له حين كان مشروعاً من غير نسخ ولا تبديل ، أو هو متبع للمبدَّل والمنسوخ دون الناسخ .

فالناس ثلاثة أصناف ؛ فالسعداء هم الصنف الواحد ، وهم المذكورون في هذه الآية ، وأما من أشرك وكذّب الرسول كالمشركين كلهم ، أو كذّب بعض الرسل دون بعض كالكفار من أهل الكتاب ؛ فهم الأشقياء ، وهم من أهل الوعيد والعذاب سواء أظهروا ذلك أو أضمروه كالمنافقين من هذه الأمة» .

وقال ابن تيمية :

«إن قوله ـ تعالى ـ : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين﴾ عامٌّ ، والأسماء والمعارف من صيغ العموم ، ومن أدلّها على العموم الموصولات وأدوات الشرط ، وهذا خبر عنهم ، فكل من كان من الذين هادوا والنصارى والصابئين ؛ فقد دخل في لفظ الآية ، وقوله : ﴿مَنْ آمنَ بالله واليوم الآخر وعَملَ صالحاً﴾ عامّاً من كان كذلك من الطوائف الأربعة ، وإلا من آمن بالله ولم يؤمن باليوم الآخر لم يكن مؤمناً ، ومن آمن بالله واليوم الآخر ولم يعمل صالحاً لم يكن له عند الله أجر ، وكان من الذين عليهم الخوف والحزن في الدنيا والآخرة .

فمن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من هؤلاء الطوائف الأربعة فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، وإن قدر من غيرهم ، فإنه ليس من لفظها (من آمن منهم) ليخص الآية بذلك ؛ لكن قد يخصون إذا قدر أنه لم يوجد متّصف بذلك إلا منهم ؛ ولكن لما أخبر عنهم بهذا الخبر العام دلّ على أن فيهم من يتصف بذلك ويكون سعيداً ، ليسوا كلهم كفاراً كالمشركين والمجوس» .

وقال : «إذا كان ذَكَرَ الله ـ تعالى ـ الأصناف الأربعة ـ المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين ـ ثم خصّ بالسعادة من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً كان من ليس من هؤلاء أولى أن لا يكون من أهل السعادة ، إلا إذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً ، فإنه إذا لم يكن كل من دخل في هؤلاء سعيداً بل

السعيد من اتصف بها منهم ، فالمشركون والمجوس أولى أن لا يكونوا سعداء إذا لم يتصفوا بهذه الأوصاف ، وهو - سبحانه - لم يقل : (من آمن منهم) ؛ فإنه من تاب من المجوس وغيرهم وعمل صالحاً كان من أهل السعادة .

فهذا اللفظ عام ؛ لكن هذه الأصناف فيها من هو سعيد ، مع كونه من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين ، الذين كانوا على الدين الحق ، وأما المشركون ؛ فإن الواحد منهم لا يكون مؤمناً بالله واليوم والآخر عاملاً صالحاً حتى يتوب من الشرك ، والمشرك لا يكون مشركاً حتى يكون مكذباً للرسل ؛ فإن الرسل جميعهم دعوا إلى التوحيد وعبادته وحده لا شريك له ، فالمشرك مع إشراكه بالله هو مكذب للرسل ، وهو كاذب بهذا وبهذا . ا . هـ .

قال - تعالى - في سورة آل عمران - : ﴿وإذْ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ النبيّين لَمَا آتيتكُم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لما معكم لَتُؤمننَّ به ولتنصرُنَّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ .

قال الشيخ السعدي - رحمه الله - : «يخبر - تعالى - أنه أخذ ميثاق النبيين وعهدهم المؤكد بسبب ما أعطاهم من كتاب الله المنزل ، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل والهدى والضلال ، إنه إن بعث الله رسولاً مصدقاً لما معهم أن يؤمنوا به ويصدّقوه ويأخذوا ذلك على أُممهم ؛ فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض ، ويصدق بعضهم بعضاً ؛ لأن جميع ما عندهم هو من عند الله ، وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان ، فهم كالشيء الواحد ، فعلى هذا قد علم أن محمداً ﷺ هو خاتمهم ، فكل الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به ، واتِّباعه ، ونصرته ، وكان هـ إمامهم ومقدَّمَهم ومتبوعَهم ، فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبتـ وجلالة قدره ، وأنه أفضل الأنبياء وسيدُهم ﷺ ، لما قررهم - تعالى - : ﴿قالوا أقررنا﴾ أي : قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين ، ﴿قال﴾ - الله لهم - : ﴿فاشهدوا﴾ على أنفسكم وعلى أممكم بذلك ، قال : ﴿فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك﴾ العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ورسله ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ ؛ فعلى هذا : كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء - كاليهود والنصارى ومن تبعهم - فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ ، واستحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ» .

وفي سورة الحج قال - تعالى - : ﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هادُوا والنصارى والمجوسَ والذين أشركوا إن الله يَفْصلُ بينهم يوم القيامة إن اللهَ على كل شيءٍ شهيدٌ﴾ .

لما ذكر الله ـ تعالى ـ الأديان الستة أخبر أنه يفصل بينهم، قال ابن كثير: «يحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار؛ فإنه ـ تعالى ـ شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم، وما تكنّ ضمائرهم».

وقال ابن تيمية: «فأخبر أنه يفصل بينهم ولم يجعل في المشركين والمجوس من هو من أهل السعادة في الآخرة، كما جعل ذلك في الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين، حيث فيهم من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون». ا. هـ.

وفي سورة المائدة قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونورٌ يحكم بها النبيُّون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيُّون والأحبارُ بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشَوُا الناس واخشونِ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾؛ **في هذه الآية حمَّل الله - تعالى - أهل العلم ما لم يحمِّله الجهال، فأوجب عليهم القيام بأعباء ما حملوا، وأن لا يقتدوا بالجهال، بالإخلاد إلى البطالة والكسل، وأن لا يقتصروا على مجرد العبادات القاصرة: من أنواع الذكر، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، ونحو ذلك من الأمور، التي إذا قام بها غير أهل العلم سلموا ونجوا، وأما أهل العلم فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم - أنفسهم -؛ فإنهم مطالَبون بأن يعلِّموا الناس وينبِّهوهم على ما يحتاجون إليه من أمور دينهم، خصوصاً الأمورَ الأصوليةَ والتي يكثر وقوعها، وأن لا يخشوُا الناس بل يخشون ربهم**؛ ولهذا قال: ﴿فلا تخشوُا الناسَ واخشونِ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ قال الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ: «فتكتمون الحق، وتظهرون الباطل، لأجل متاع الدنيا القليل»، وهذه الآفات إذا سلم منها العالم فهو من توفيقه وسعادته، بأن يكون همه الاجتهاد في العلم والتعليم، ويعلم أن الله استحفظه ما أودعه من العلم واستشهده عليه، وأن يكون خائفاً من ربه، ولا يمنعه خوف الناس وخشيتهم من القيام بما هو لازم له، وأن لا يؤثِر الدنيا على الدين.

كما أن علامة شقاوة العالم أن يكون مُخْلِداً للبطالة، غير قائم بما أمر به، ولا مبالٍ بما استحفظ عليه، قد أهمله وأضاعه، قد باع الدين بالدنيا، قد ارتشى في أحكامه، وأخذ المال على فتاويه، ولم يعلم عباد الله إلا بأجرة وجُعالة، فهذا قد مَنَّ الله عليه بمنّة عظيمة، كفَرها ودفع حظاً جسيماً، محروماً منه غيره، فنسألك اللهم علماً نافعاً، وعملاً متقبَّلاً، وأن ترزقنا العفو والعافية من كل بلاء يا كريم.

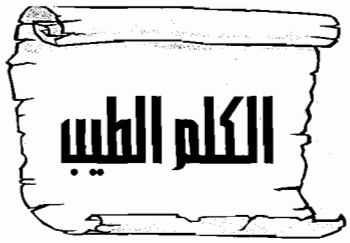

الحلقة الأولى

صفات التوّابين في ضوء حديث المخلّفين

● بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وآله وصحبه وسلم ووفده .

أما بعد : فإن قصة الثلاثة الذي خلفوا في غزوة (العسرة) اشتملت على فوائد جمة زوائد ، وحوت حكماً عظيمة فرائد ؛ ففي كل فِقْرة منها عبرة بل عبر ، وفي جملتها صور عميقة الأثر .

ولقد رأيت أن الله - سبحانه وتعالى - قد أودعها في سورة التوبة من كتابه المجيد : فأُلقي في نفسي استخراجُ أحكام التوبة الواردة في حديث المخلَّفين - أسأل الله أن يجعلني وإياكم من المُخلَصين - .

نص الحديث ورواياته:

عن عبدالله بن كعب[1] ، كان قائد كَعْبٍ من بنيه[2] حين عَمِيَ ، [وكان أعلمَهم وأوعاهُم[3] لأحاديث أصحابِ رسول الله ﷺ] ، قَالَ : سمعت كعب بن مالك يحدِّث حديثه حين تَخلَّف[4] عَن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك .

قَالَ كعبُ بنُ مَالك : لَم أَتَخَلَّف عَن رسولِ الله ﷺ في غَزوَةٍ غَزاها قطُّ إلا في غزوة تَبُوك ، غير أَنِّي قد تَخَلَّفتُ في غَزوَة بَدرٍ ، ولَم يعاتب [الله] أَحَداً تَخَلَّفَ عَنهُ ، إِنَّمَا خَرَجَ رسولُ

(١) في روايتي محمد بن عبدالله ومعقل بن يسار عن الزهري عند مسلم (٢٧٦٩) (٥٤) (٥٥) عن عبيدالله بن كعب مصغراً ، وسائر الرواة عن الزهري عبدالله بن كعب مكبراً ، وهو الصواب ؛ كما قال المحققون ؛ كالدارقطني وغيره .

(٢) وقع في بعض الروايات «بيته» وهو تصحيف ، والله أعلم .

(٣) أحفظهم .

(٤) زمان تخلفه .

الله ﷺ وَالمسلمُونَ يُريدُونَ عِيرَ[1] قُرَيشٍ حَتَّى جَمَعَ الله بَينَهُم وَبَين عَدُوِّهم على غَير مِيعادٍ .

وَلَقد شَهِدتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ لَيلَةَ العَقَبةِ[2] حِينَ تَوَاثَقنَا على الإسلامِ[3] ، وَمَا أُحِبُّ لِي بِهَا مَشهَدَ بَدرٍ ، وَإِن كَانت بَدرٌ أَذكَرَ[4] في النَّاسِ منها ، (وفي رواية : وإن كانت بدرٌ أكثر ذكراً في الناس منها) .

وكان من خبري حين تخلَّفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك : أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلَّفت عنه في تلك الغزوة ؛ واللهِ ! ما جمعتُ قبلها راحِلتين قطُّ حتى جَمعتُهما في تلك الغزوة [فكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة إلا ورَّى[5] بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة][6] ؛ فغزاها رسولُ الله ﷺ في حَرٍّ شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً[7] ، واستقبل عدواً كثيراً ، فجلا[8] للمسلمين أمرهم ليتأهَّبوا أُهْبة[9] غزوهم[9] ، فأخبرهم بوجههم[10] الذي يُريدُ ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثيرٌ ، ولا يَجمعهُم كِتابُ حافِظٍ - يريد بذلك الدِّيوان - (وفي رواية : وغزا رسولُ الله ﷺ بناس كثير يزيدون عن عشرة آلاف[11] لا يجمعهم ديوانٌ حافظٌ)[1] .

---

(١) قافلة أبي سفيان التي كان فيها أموال قريش وتجارتها .

(٢) الليلة التي بايع رسول الله ﷺ الأنصار فيها على الإسلام ، والعقبة : هي طرف منى التي تضاف إليها جمرة العقبة ، وكانت بيعة العقبة مرتين في سنتين .

(٣) تبايعنا عليه ، وتعاهدنا على نصرته ، وحماية رسول الله ﷺ .

(٤) أعظم ذكراً .

(٥) أوهم غيرها ، والتورية : أن يذكر لفظاً يحتمل معنين : أحدهما أقرب من الآخر ؛ فيوهم إرادة القريب ، وهو يريد البعيد .

(٦) زاد أبو داود (٢٦٣٧) من طريق محمد بن ثور عن معمر عن الزهري به وكان يقال : «الحرب خَدْعَةٌ» ؛ وهي زيادة صحيحة ، ولها شواهد من حديث جابر وأبي هريرة - رضي الله عنهما - .

(٧) بَرِّية طويلة قليلة الماء ، يخاف فيها الهلاك ، وسميت مفازة تفاؤلاً بالسلامة ، والفوز ، والنجاة .

(٨) بتشديد اللام ويجوز تخفيفها : كشفه وأوضحه وبيَّنه وعرَّفه على وجهه من غير تورية .

(٩) ليستعدوا بما يحتاجون إليه في سفرهم .

(١٠) بمقصدهم .

(١١) قال الحافظ في «فتح الباري» (٨/١١٧ - ١١٨) : «وللحاكم في «الإكليل» من حديث معاذ : «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً» ، وبهذا جزم ابن إسحاق ، وأورده الواقدي بسند آخر موصول ، وزاد أنه كان معه عشرة آلاف فرس ، فتحمل رواية معقل على إرادة عدد الفرسان» .

قال كعبٌ : فقلَّ رجلٌ يريد أن يتغيب [إلا] يظنُّ أنَّ ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله - عز وجل - ، وغزا رسولُ الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمارُ والظلالُ ، فأنا إليها أَصْعَرُ[٢] ، فتجهَّز رسولُ الله ﷺ والمسلمون معهُ ، وطفِقتُ أغدو لكي أتجهَّزَ معهم فأرجعُ ولم أقض شيئاً ، وأقولُ في نفسي : أنا قادرٌ على ذلك إذا أَردتُ ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجِدُّ[٣] ، فأصبح رسولُ الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ، ولم أقضِ من جهازي شيئاً [فقلت : أتجهّز بعده بيوم أو يومين ثم أَلحقهم] ، ثم غدوتُ [بعد أن فصلوا لأتجهز] فرجعتُ ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا[٤] ، وتفارط الغزو[٥] ، فهمَّمتُ أن أرتحل فأُدركهم ؛ فيا ليتني فعلتُ ! ثُمَّ لم يُقدَّر ذلك لي ، فطفقتُ (وفي رواية : فكنت) إذا خرجت في الناس بعد خُروج رسول الله ﷺ [فطفت فيهم] يحزنني أني لا أَرى لي أُسوةً إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق[٦] أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكُرني رسول الله ﷺ حتَّى بلغ تبوكاً[٧] ، فقال - وهو جالسٌ في القوم بتبوك - : «ما فعل كعبُ بن مالك؟» ، قال رجلٌ من بني سلمة : يا رسول الله ! حَبَسَهُ بُرداه[٨] ، والنَّظرُ في عِطفيه[٩] ، فقال له معاذ بن جبل : بئسَ ما قلت ، والله - يا رسول الله - ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله ﷺ [فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مُبَيِّضاً[١٠] يزول[١١] به

(١) أي : ديوان مكتوب ، وهذا يقويّ رواية التنوين لا الإضافة .

(٢) أميل .

(٣) الاجتهاد في الشيء والمبالغة فيه .

(٤) قال الحافظ (١١٨/٨) : وفي رواية «الكُشْمِيهَني : «حتى شرعوا» بالشين المعجمة ، وهو تصحيف» .

(٥) سبق الغزاة ، وفاتوا .

(٦) مُتَّهَماً بالنفاق مطعوناً في دينه .

(٧) هكذا مصروفة ، وللأكثر بغير صرف ، وإنّما صرفها لإرادة الموقع دون البقعة .

(٨) ثوباه ، والعرب تسميه عِطفاً لوقوعه على عِطفي الرجل .

(٩) جانبيه ، والمراد : شدة إعجابه بنفسه ولباسه .

(١٠) لابس البياض .

(١١) يتحرك وينهض .

السـراب[1] ، فـقـال رسـولُ الله : «كُن أبا خيثمة»[2] ؛ فإذا هو أبو خيثمة الأنصاريُّ ، وهو الذي تصدَّق بصاع التمر حين لَمزهُ[3] المنافقون] .

فـقال كـعبُ بن مالك : فلمَّا بلغني أن رسـول الله ﷺ توجَّـه قـافـلاً[4] من تبـوك حضرني بَثِّي[5] (وفي رواية : همّي) فطفقتُ أتذكرُ الكذب ، وأقول : بم أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك [بـ] كُـلّ ذي رأي من أهلي ، فَلمَّا قـيل لي : إن رسـول الله ﷺ قـد أظلَّ[6] قـادمـاً زاح[7] عني البـاطل حَتَّى عـرفتُ أنِّي لن أنجُـوَ منهُ بشيء أبداً [فـيـه كذب] فأجمعتُ[8] صدقه ، وصبَّح رسول الله ﷺ قـادمـاً ، وكـان إذا قـدم من سـفـر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثمَّ جلس للنّاس ، فلَمَّـا فـعل ذلك جـاءهُ المخلَّفـون ؛ فطفـقـوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له - وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً - ، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتَهُم ، وبايعهم ، واستغفر لهم ، وَوَكَلَ سرائرهم إلى الله ، حتى جئتُ فلمّا سلَّمتُ [عليـه] تَبسَّمَ تَبسُّمَ المُغْضَب ، ثم قال : «تعال»؟ فجئتُ أمشي ، حتَّى جلستُ بين يديه ، فقال لي : «ما خلَّفكَ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» ، قال : قُلتُ : [بلى] يا رسـول الله ، إني - والله - لو جلست عند غيرك من أهل الدُّنيا لرأيتُ أني سأخرجُ من سخطه بعذرٍ ، ولقد أُعطيتُ جدلاً[9] ؛ ولكني - والله - لقـد علمتُ لئن حـدَّثتك اليـومَ حديثَ كذبٍ ترضى به عني ، ليُوشكنَّ[10] الله أن يُسخطَكَ عليَّ ، ولئن حدَّثتُكَ حديثَ صدقٍ تجدُ[11] عليَّ فيه إنِّي لأرجو فيه عُقبى

(١) هو ما يظهر للإنسان في الهواجر في الصحارى كأنه ماء .

(٢) اللهم اجعله أبا خيثمة ، وهو على تحقيق الوجود .

(٣) عابوه واحتقروه .

(٤) راجعاً .

(٥) أَشَدُّ الحزن .

(٦) أقبل دون قدومه .

(٧) انكشف وزال .

(٨) عزمت عليه ، وجزمت به .

(٩) فصاحة ، وقوة كلام ، وبراعة ، بحيث أخرج من عهدة ما يُنسب إلي إذا أردت بما يُقبل ولا يُرد .

(١٠) ليسرعن .

(١١) تغضب .

الله[1] [وفي رواية : عفو الله] ، [لا] والله ما كان لي [من] عُذرٍ ، والله ما كُنتُ قطُّ أقوى ولا أيسر منِّي حين تخلفت عنك .

قال رسول الله ﷺ : «أمَّا هذا ؛ فقد صدق ، فقُم حتَّى يقضي الله فيك» ؛ فَقُمتُ .

وثار رجالٌ من بني سلمة ، فاتبَّعوني ، فقالوا لي : والله ما علِمناك أذنبت ذنباً قبل هذا ، لقد عَجَزتَ في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المُخلَّفون ، [وفي رواية : المتخلفون] ، فقد كان كافيَك ذنبك استغفارُ رسول الله ﷺ لك[2] .

قال : فوالله ؛ ما زالو يؤنِّبونني[3] حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذّب نفسي .

قال : ثُمَّ قلت لهم : هل لقي هذا معي من أحدٍ؟ قالوا : نعم ، لقيه معك رجلان ، قالا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك ، قال : قلت : من هما؟ قالوا : مُرَارة بن الرَّبيعة العامريُّ[4] ، وهلالُ بن أُميَّة الواقفيُّ .

قال : فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً ؛ فيهما أُسوةٌ ، قال : فمضيتُ حين ذكرُوهُما لي .

قال : ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة[5] من بين من تخلف عنه .

قال : فاجتنبنا النَّاس ، وقال : تغيَّروا لنا ، حتَّى تنكَّرَت لي في نفسي الأرضُ ؛ فما هي بالأرض التي أعرفُ[6] ؛ فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأمَّا صاحباي فاستكانا[7] ، وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا ؛ فكنتُ أَشَبَّ القوم وأجلدهم[8] ، فكنتُ أخرُجُ فأشهدُ الصلاة [مع المسلمين] ، وأطوف في الأسواق ،

---

(١) أي : يعقبني خيراً ، وأن يثني عليه .

(٢) وفي رواية : فقال كعب : «ما كنت لأجمع أمرين : أتخلف عن رسول الله ﷺ ، وأكذبه ، فقالوا : إنك شاعر جريء ، فقال : أما على الكذب فلا» .

(٣) يلومونني أشد اللوم .

(٤) هكذا هو في جميع نسخ مسلم : العامري ، وأنكره العلماء وقالوا : هو غلط إنما صوابه : العَمْري - من بني عمرو بن عوف - ، وكذا ذكره البخاري ، وكذا نسبه محمد بن إسحاق وابن عبدالبر ، وغيرهما من الأئمة ، قال القاضي : هو الصواب .

(٥) هو بالرفع ، وموضعه نصب على الاختصاص .

(٦) تغيّر عَلَيَّ كل شيء حتى الأرض ؛ فإنها توحشت عليّ ، وسارت كأنها أرض لم أعرفها بتوحشها عليّ .

(٧) خَضَعا .

(٨) أصغرهم سناً وأقواهم .

ولا يكلِّمني أحدٌ ، وآتي رسولَ الله ﷺ فأُسلّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ؛ فأقولُ في نفسي : هل حرّك شفتيه برد السلام [عليّ] أم لا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَريباً منهُ وأُسارِقهُ[1] النَّظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي (وفي رواية : أقبل إليَّ) ، وإذا التفتُّ نحوَهُ أعرض عنِّي ، حتَّى إذا طال ذلك عليَّ من جفوة[2] المسلمين (وفي رواية : الناس) ؛ مشيتُ حتى تسوَّرتُ[3] جدار حائط[4] أبي قتادة - وهو ابن عمي وأحب الناس إلي - فسلّمت عليه ، فوالله ما رد عليَّ السلام . فقلت له : يا أبا قتادة ! أَنْشُدُكَ الله[5] هل تعلمنَّ أني أُحبُّ الله ورسوله؟ قال : فسكت ، فعدتُ فناشدتهُ ، فسكت ، فعدتُ فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ؛ ففاضت عيناي ، وتولَّيتُ حتى تسوّرت الجدار ، فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نَبَطيٌّ من نَبَط[6] (وفي رواية : أنباط) أهل الشام ممَّن قدم بالطعام يبيعهُ بالمدينة ، يقول : من يدل على كعب بن مالك؟ قال : فطفق الناس يشيرون له إليَّ ، حتَّى جاءني ، فدفع إليَّ كتاباً من ملك غسان ، وكنت كاتباً فقرأته ، فإذا فيه : أما بَعدُ ؛ فإنه قد بَلَغَنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوانٍ ولا مضيعة[7] ، فالْحَقْ بنا نُواسِك[8] . قال : فقلتُ حين قرأتُها : وهذه - أيضاً - من البلاء ؛ فتيامتُ[9] بها التَّنوُّر ؛ فَسَجَرْتُهَا[10] بها ، حتَّى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث[11] الوحيُ ، إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني ، فقال : إنَّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : فقلتُ : أُطلِّقُهَا ، أم ماذا أفعلُ؟ قال : لا بَلِ

(١) أنظر في خفية .

(٢) إعراضهم .

(٣) علوته وصعدت سوره : وهو أعلاه .

(٤) بستانه وحديقته ، وذكر أنه ابن عمه ؛ لأنه من قومه بني سلمة ، وليس ابن عمه أخي أبيه الأقرب .

(٥) أي : أسألك بالله ، وأصله من النشيد : وهو : الصوت .

(٦) النَّبَط والأنباط والنبيط ، وهم : فلاحو العجم ، وسموا بذلك ؛ لأنهم يستنبطون الماء ؛ أي : يستخرجونه .

(٧) فيها لغتان : إحداهما مِضْيَعَة ، والثانية : مَضْيَعة ، أي : موضع وحال يضيع فيه حقك .

(٨) وفي بعض النسخ : نواسيك ، بزيادة ياء ، وهو صحيح ، أي : ونحن نواسيك ، وقطعه عن جواب الأمر . معناه : نشاركك فيما عندنا ، وفي رواية : «في أموالنا ، فقلت : إنا لله قد طمع في أهل الكفر» .

(٩) هكذا في جميع النسخ ، وهي لغة في : تيممت ، ومعناها : قصدت .

(١٠) أحرقتها ، وأنّث الضمير ؛ لأنه أراد معنى الكتاب ، وهو الصحيفة ، والتنور : ما يخبز فيه .

(١١) أبطأ .

اعتزلها ؛ فلا تقربنَّها .

قال : فأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك ، قال : فقلتُ لامرأتي : الحقي بأهلك ؛ فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر .

قال : فجاءت امرأةُ هلال بن أُمية رسولَ الله ﷺ ؛ فقالت له : يا رسول الله ! إن هلال بن أُمية شيخٌ ضائعٌ ليس له خادمٌ ؛ فهل تكرهُ أن أخدمه؟ قال : «لا ؛ ولكن لا يقربنّك» ، فقالت : إنَّهُ - والله - ما به حركةٌ إلى شيءٍ ، ووالله ما زال يبكي منذُ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا .

قال : فقال لي بعضُ أهلي : لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك ، فقد أَذنَ لامرأةِ هلال بن أمية أن تخدمهُ ، قال : فقلتُ : لا أستاذنُ فيها رسول الله ﷺ، وما يُدريني ماذا يقولُ رسول الله ﷺ إذا استأذنتهُ فيها وأنا رجُلٌ شابٌّ ! قال : فَلَبِثتُ بذلك عشر ليالٍ ، فكمَل لنا خمسون ليلةً من حين نُهي عن كلامنا .

قال : ثمَّ صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلةً على ظهر بيتٍ من بيوتنا ، فبينا أنا جالسٌ على الحال التي ذكر الله - عزَّ وجلَّ - منا ، قد ضاقت عليَّ نفسي ، وضاقت عليَّ الأرضُ بما رحُبت[1] ؛ سمعتُ صوت صارخ أوفى على سَلَع[2] يقولُ بأعلى صوته : يا كعب ابن مالك ! أبشر ، قال : فخررتُ ساجداً ، وعرفتُ أن قد جاء فَرَجٌ ، قال : فآذن رسولُ الله النَّاس[3] بتوبة الله علينا حين صلَّى صلاة الفجر ؛ فذهب النَّاس يبشروننا ، فذهب قِبَلَ صاحبيَّ مبشِّرون ، وركض رجلٌ إلي فرساً ، وسعى ساعٍ من أَسْلَم قِبَلي ، وأوفى الجبلَ ، فكان الصوتُ أسرعَ من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يبشرني ، فنزعتُ له ثَوْبَيَّ ، فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما أملك غيرهما يومئذٍ[4] ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، فانطلقتُ أتأمَّمُ[5] رسولَ الله ﷺ يتلقّاني الناس فوجاً فوجاً[6] يُهَنِّئوني بالتوبة ، ويقولون : لِتَهْنِئْكَ توبةُ الله عليك ، حتى دخلتُ المسجد ؛ فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ في المسجد وحوله النَّاسُ ؛ فقام طلحة بن عبيد الله يهرولُ ، حتى صافحني وهنَّأني ، والله ما قام رجُلٌ من المهاجرين غيره ، قال : فكان كعبٌ لا ينساها لطلحة .

---

(١) بما اتسعت ، ومعناه : ضاقت عليّ الأرض مع أنها متسعة ، والرحب : السعة .

(٢) صعده وارتفع عليه ، وَسَلَع : جبل بالمدينة النبوية معروف .

(٣) أعلمهم .

(٤) من جنس الثياب .

(٥) أقصد .

(٦) جماعة جماعة .

قال كعبٌ : فَلَمَّا سَلَّمتُ على رسول الله ﷺ قال : وهو يَبرُقُ وَجهُهُ من السُّرورِ ، ويقول : «أَبشر بخيرِ يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك» .

قال : فقلتُ : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال : «لا ؛ بل من عند الله» .

وكان رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنَّ وجههُ قطعة قمرٍ ، قال : وكنا نعرفُ ذلك [منه] .

قال : فلمَّا جلستُ بين يديه ، قلتُ : يا رسول الله ! إنَّ من توبتي أن أنخلع[1] من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ ؛ فقال رسول الله ﷺ : «أمسك عليك بعض مالك ؛ فهو خيرٌ لك» .

قال : فقلتُ : فإني أمسكُ سهمي الذي بخيبر .

قال : وقلت : يا رسول ! إنَّ الله إنَّما أنجاني بالصِّدق ، وإنَّ من توبتي أن لا أُحدِّث إلا صدقاً ما بقيت .

قال : فوالله ما علمتُ أنَّ أحداً من المسلمين أبلاهُ[2] الله في صدق الحديث - منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا - أحسن مما أبلاني الله به ، والله ما تعمدتُ كذبةً منذُ قلتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي .

قال : فأَنزل الله - عزَّ وجل - : ﴿لقد تاب اللهُ على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العُسرة من بعد ما كاد يَزِيغُ قلوبُ فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيمٌ . وعلى الثلاثة الذي خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحُبت وضاقت عليهم أنفسهم﴾ ، - حتى - بلغ : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة : ١١٧ ، ١١٨] .

قال كعبٌ : واللهِ ما أنعم اللهُ عليَّ من نعمةٍ قطُّ بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسولَ الله ﷺ ، أن لا أكون كَذَبْتُهُ[3] ؛ فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، إنَّ الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرَّ ما قال لأحدٍ ، وقال الله : ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجسٌ ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم

---

(١) أخرج منه ، وأتصدق به .

(٢) أنعم عليه ، والبلاء والإبلاء يكون في الخير والشر ، ولكن إذا أطلق كان للشر غالباً ، فإذا أُريد الخير ، قيد كما قيده هنا ، فقال : أحسن مما أبلاني .

(٣) هكذا هو في جميع نسخ مسلم ، وكثير من روايات البخاري ، قال العلماء : لفظة (لا) في قوله : «أن لا أكون» زائدة ، ومعناه : أن أكون كذبته ، كقوله - تعالى - : ﴿ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك﴾ [الأعراف : ١٢] .

الفاسقين﴾ [التوبة : ٩٥ ، ٩٦] .

قال كعبٌ : كُنَّا خُلِّفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه ؛ فبذلك قال الله - عز وجل - : ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا﴾ ، وليس الذي ذكر الله مِمَّا خُلِّفْنا تخلُّفَنا عن الغزو ، وإنَّما هو تخليفُهُ إيَّانا وإرجاؤُهُ أمرنا[1] عمَّن حلف له واعتذر إليه فقبل منهُ»[2] .

هذا نصُّ الحديث بتمامه ؛ وفيه فوائد :

١ - يوم التوبة أعظم أيام العبد.

قال ابن قيم الجوزية : «وفيه دليل على **أن خير أيام العبد على الإطلاق وأفضلَها توبته إلى الله، وقبول الله توبته** ؛ لقول النبي ﷺ : «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك» .

فإن قيل : فكيف يكون هذا اليوم خيراً من يوم إسلامه؟

قيل : هو مكمل ليوم إسلامه ، ومن تمامه ؛ فيوم إسلامه بداية سعادته ، ويوم توبته كمالها وتمامها ، والله المستعان»[3] .

«وقوله تعالى : ﴿لقد تاب الله على النبيِّ والمهاجرين والأنصار الذي اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يَزِيغُ قلوبُ فريقٍ منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم﴾ [التوبة : ١١٧] .

وهذا من أعظم ما يُعَرِّفُ العبد قدر التوبة وفضلها عند الله، وأنها غاية كمال المؤمن؛ فإنه - سبحانه - أعطاهم هذا الكمال - بعد آخر الغزوات - بعد أن قَضَوْا نَحْبَهم، وبذلوا نفوسَهم، وأموالهم، وديارهم لله، وكان غاية أمرهم أن تاب عليهم؛ ولهذا جعل النبي ﷺ يوم توبة كعب خير يوم مر عليه منذ ولدته أمه إلى ذلك اليوم، ولا يعرف هذا الحق معرفته إلا من عرف الله، وعرف حقوقه عليه، وعرف ما ينبغي له من عبودية، وعرف نفسه وصفاتها وأفعالها، وأن الذي قام من العبودية بالنسبة إلى حق ربه عليه، كقطرة في بحر ، هذا إذا سلم من الآفات الظاهرة والباطنة ، فسبحان من لا يسع عباده غير عفوه ومغفرته ، وتغمده لهم بمغفرته ورحمته ، وليس إلا ذلك أو الهلاك ، فإن وضع عليهم عدله ، فعذب أهل سماواته

---

(١) تأخيره .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) والسياق له ، والزيادة الأولى والثانية له ، وكذلك الرواية الأولى ، وباقي الزيادات والروايات للبخاري .

(٣) «زاد المعاد» (٣/٥٨٥) .

وأرضه عذبهم ، وهو غير ظالم لهم ، وإن رحمهم فرحمته خير لهم من أعمالهم ، ولا ينجي أحداً منهم عمله»[1] .

٢- استحباب الصدقة عند التوبة بما يقدر عليه من مال.

قال ابن قيم الجوزية : «وقول كعب : «يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي» دليل على استحباب الصدقة عند التوبة بما قدر عليه من المال .

وقول رسول الله ﷺ : «أمسك عليك بعض مالك ؛ فهو خير لك» ، دليل على أن من نذر الصدقة بكل ماله ، لم يلزمه إخراج جميعه ، بل يجوز له أن يُبقي له منه بقية .

وقد اختلفت الرواية في ذلك ؛ ففي «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال له : «أمسك عليك بعض مالك» ولم يعين له قدراً ، بل أطلق ووكله إلى اجتهاده في قدر الكفاية ، وهذا هو الصحيح ؛ فإن ما نقص عن كفايته وكفاية أهله لا يجوز له التصدق به ، فنذره لا يكون طاعة ، فلا يجب الوفاء به ، وما زاد على قدر كفايته وحاجته ، فإخراجه والصدقة به أفضل ، فيجب إخراجه إذا نذره ، هذا قياس المذهب ، ومقتضى قواعد الشريعة ؛ ولهذا تُقَدَّمُ كفاية الرجل وكفاية أهله على أداء والواجبات المالية ، سواء كانت حقاً لله - كالكفارات والحج - أو حقاً للآدميين - كأداء الديون - ، فإنا نترك للمفلس ما لا بد له منه من مسكن ، وخادم ، وكسوة ، وآلة حرفة ، أو ما يتّجر به لمؤنته إن فقدت الحرفة ، ويكون حق الغرماء فيما بقي .

وقد نص الإمام أحمد على أن من نذر الصدقة بماله كله ، أجزأه ثلثه ، واحتج له أصحابه بما روي في قصة كعب هذه أنه قال : «يا رسول الله إن من توبتي إلى الله ورسوله أن أَخرج من مالي كله إلى الله ورسوله صدقة ، قال : «لا» . قلت : فنصفه؟ قال : «لا» ، قلت : فثلثه؟ قال : «نعم» ، قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر» . رواه أبو داود[2] ، وفي ثبوت هذا ما فيه ، فإن الصحيح في قصة كعب هذه ما رواه أصحاب الصحيح من حديث الزهري عن ولد كعب بن مالك عنه أنه قال : «أمسك عليك بعض مالك» من غير تعيين لقدره ، وهم أعلم بالقصة من غيرهم ؛ فإنهم ولده ، عنه نقلوها .

فإن قيل : فما تقولون فيما رواه الإمام أحمد في «مسنده» أن أبا لبابة ابن عبدالمنذر لما تاب عليه قال : يا رسول الله ! إن من توبتي أن أهجر دار قومي وأساكنك ، وأن أخلع من

---

(١) «زاد المعاد» (٣/٥٩١ ـ ٥٩٢) .

(٢) صحيح لغيره ـ أخرجه أبو داود (٣٣٤١) من طريق ابن إسحاق : حدثني الزهري عن عبدالرحمن بن عبدالله ابن كعب ، عن أبيه ، عن جده (ذكره) . =

مالي صدقة لله - عز وجل - ولرسوله ؛ فقال رسول الله ﷺ : «يجزئ عنك الثلث»[1] .

قيل : هذا هو الذي احتج به أحمد ، لا بحديث كعب[2] ؛ فإنه قال في رواية ابنه عبدالله : «إذا نذر أن يتصدق بماله كله أو ببعضه ، وعليه دَيْنٌ أكثر مما يملكه ، فالذي أذهب إليه أنه يجزئه من ذلك الثلث ؛ لأن النبي ﷺ أمر أبا لبابة بالثلث» .

وأحمد أعلم بالحديث أن يحتج بحديث كعب هذا الذي فيه ذكر الثلث ، إذ المحفوظ في هذا الحديث «أمسك عليك بعض مالك» ، وكأن أحمد رأى تقييد إطلاق حديث كعب بحديث أبي لبابة[3] .

وقوله فيمن نذر أن يتصدق بماله كله أو ببعضه وعليه دين يستغرقه : إنه يجزئه من ذلك الثلث ، دليل على انعقاد نذره ، وعليه دين يستغرق ماله ، ثم إذا قضى الدين ، أخرج مقدار ثلث ماله يوم النذر ، وهكذا قال في رواية ابنه عبدالله : «إذا وهب ماله ، وقضى دينه ، واستفاد غيره ؛ فإنما يجب عليه إخراج ثلث ماله يوم حنثه» يريد بيوم حنثه يوم نذره ، فينظر قدر الثلث ذلك اليوم ، فيخرجه بعد قضاء دينه .

= قلت : إسناده حسن رجاله ثقات غير محمد بن إسحاق ، وهو حسن الحديث إذا صرح بالتحديث ، وقد فعل ، وقد خفي هذا على الشوكاني (١٥٠/٩) فقال : «رواية أبي داود في إسنادها محمد بن إسحاق ، وفيه مقال معروف ، ويشهد له حديث أبي لبابة الآتي ، فهو به صحيح» .

وتوهين ابن قيم الجوزية له كما هو ظاهر السياق ، وقد بين علة ذلك عنده في «تهذيب السنن» (٣٨٤/٤) فقال : «المحفوظ في هذا الحديث ما أخرجه أصحاب الصحيح من قوله : «أمسك عليك بعض مالك» ، أما ذكر الثلث فيه ؛ فإنما أتى به ابن إسحاق ، ولكن هو في حديث (أبي لبابة) وذكره ، ولعل بعض الرواة وهم في نقله هذا إلى حديث كعب بن مالك في قصة توبته» .

قلت : ابن إسحاق حجة إذا صرح بالتحديث ، وأوهام الثقات أو توهيمهم لا يثبت إلا بنقل صريح صحيح ، وكيف نقول : إن بعض الرواة وهم وهو متابع على معناه ؛ كما في حديث أبي لبابة .

ولذلك فلا وجه لقول ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ لا رواية ولا دراية ولا رعاية ، وفوق كل ذي علم عليم .

(١) صحيح ـ أخرجه أحمد (٤٥٢/٣ ـ ٤٥٣ ، ٥٠٢) ، والدارمي (٣٩٠/١ - ٣٩١) من طريقين عن أبي لبابة .

وأخرجه أبو داود (٣٣١٩) عن كعب بن مالك أنه قال للنبي - أو أبو لبابة ، أو من شاء الله - ، وذكره .

قلت : وإسناده صحيح .

وأخرجه أبو داود (٣٣٢٠) وفي إسناده ضعف ، ثم ذكر أبو داود الطريقين الأوليين ؛ وبالجملة ؛ فالحديث صحيح - والله أعلم - .

(٢) ولا تعارض بينهما .

(٣) هذا هو الصواب ؛ فالمطلق يحمل على المقيد .

وقوله : «أو ببعضه» يريد : أنه إذا نذر الصدقة بمعين من مال ، أو بمقدار كألف ونحوها ؛ فيجزئه ثلثه كنذر الصدقة بجميع ماله ، والصحيح من مذهبه لزوم الصدقة بجميع المعين ، وفيه رواية أخرى : أن المعين إن كان ثلث ماله فما دونه ، لزمه الصدقة بجميعه ، وإن زاد الثلث ، لزمه منه بقدر الثلث ، وهي أصح عند أبي البركات[1] .

وبعد ؛ فإن الحديث ليس فيه دليل على أن كعباً وأبا لبابة نذرا نذراً منجزاً ، وإنما قالا : «إن من توبتنا أن ننخلع من أموالنا» ، وهذا ليس بصريح في النذر ، وإنما فيه العزم على الصدقة بأموالهما شكراً لله على قبول توبتهما ؛ فأخبر النبي ﷺ أن بعض المال يجزئ من ذلك ، ولا يحتاجان إلى إخراجه كله ، وهذا كما قال لسعد وقد استأذنه أن يوصي بماله كله ، فأذن له في قدر الثلث .

فإن قيل : هذا يدفعه أمران :

أحدهما : قوله : «يجزئك» ، والإجزاء إنما يستعمل في الواجب .

الثاني : أن منعه من الصدقة بما زاد على الثلث دليل على أنه ليس بقربة ، إذ الشارع لا يمنع من القُرب ، ونذر ما ليس بقربة لا يلزم الوفاء به .

قيل : أما قوله «يجزئك» ، فهو بمعنى : يكفي ، فهو من الرباعي ، وليس من «جزى عنه» إذا قضى عنه ، يقال : أجزأني : إذ كفاني ، وجزى عني : إذا قضى عني ، وهذا هو الذي يستعمل في الواجب ، ومنه قوله ﷺ لأبي بردة في الأضحية : «تجزي عنك ، ولن تجزي عن أحد بعدك»[2] .

والكفاية تستعمل في الواجب والمستحب .

وأما منعه من الصدقة بما زاد على الثلث ؛ فهو إشارة منه عليه بالأرفق به ، وما يحصل به منفعة دينه ودنياه ، فإنه لو مكنه من إخراج ماله كله لم يصبر على الفقر والعدم ، كما فعل بالذي جاءه بالصرة ليتصدق بها ، فضربه بها[3] ، ولم يقبلها منه خوفاً عليه من الفقر ، وعدم الصبر .

وقد يقال ـ وهو الأرجح - إن شاء الله تعالى ـ : إن النبي ﷺ عامل كل واحد ممن أراد الصدقة بماله بما يعلم من حاله ، فمكّن أبا بكر الصديق ، وقال مالك ، والزهري ، وأحمد : يتصدق بثلثه . وقال طائفة : يلزمه كفارة يمين فقط» .

وللبحث بقية . . .

* * * *

(١) هو عبدالسلام بن عبدالله الحراني جد شيخ الإسلام توفي سنة ٦٥٢هـ . وانظر المسألة في «نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار» (٩/١٥٠ ـ ١٥١) .

(٢) أخرجه البخاري (٩٥٥) ، ومسلم (١٩٦١) (٧) من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - .

(٣) ضعيف ـ أخرجه أبو داود (١٦٧٣) بإسناد ضعيف .

ويغني عنه حديث أبي هريرة أخرجه البخاري مرفوعاً : «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، وابدأ بمن تعول» .

التوحيدُ عند أهل السنة، وأقسامُهُ

● بقلم: د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

لأهل السنة والجماعة طريقان في بيان أقسام التوحيد ، وذلك على النحو التالي :

(أ) ذهب جماعة من علماء أهل السنة إلى أن التوحيد قسمان :

(١) توحيد المعرفة والإثبات ، أو التوحيد العلمي الاعتقادي الخبري : ويقصد به ما يجب اعتقاده في حق الله ـ تعالى ـ ذاتاً وأفعالاً وصفاتاً .

(٢) توحيد الطلب والقصد والإرادة : وهو توحيد الله بأفعال العباد ، بمعنى أن يَقْصِدَ بالأعمال كلها وَجْهَ الله ـ تعالى ـ وحده لا شريك له .

(ب) وذهب فريق آخر من علماء أهل السنة والجماعة إلى أن التوحيد ثلاثة أقسام :

(١) توحيد الربوبية : إي : إثبات انفراد الله ـ تعالى ـ بأفعال الربوبية ؛ من خلْق وملك ورزق وتدبير .

(٢) توحيد الأسماء والصفات : أي إثبات أسماء الله وصفاته على معانيها الحقيقية مع نفي مشابهة غيره له فيها .

(٣) توحيد الألوهية : أي : العبودية ، وذلك بصرف العبادة بجميع أنواعها لله ـ تعالى ـ وحده ـ ، أي : توحيد الله ـ تعالى ـ بأفعال العباد .

وليس هناك منافاة بين القولين والمذهبين ، فمن جعلها قسمين فقد أجمل ، وجمع الربوبية والأسماء والصفات توحيداً علمياً ، وتوحيد الألوهية توحيداً عملياً ، ومن جعلها ثلاثة أقسام ؛ فقد فصل في التقسيم ، وتقسيم التوحيد إلى قسمين باعتبار ما يجب على الموحد من العلم والعمل ، وأما تقسيمه إلى ثلاثة أقسام فباعتبار متعلقه وموضوعه ، ولا تعارض - ولله الحمد - .

ومما ورد عن السلف في تقرير هذه الأقسام للتوحيد قول الطَّحَاوي : «إن الله

ومما ورد عن السلف في تقرير هذه الأقسام للتوحيد قول الطحاوي: «إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره»، فلا إله غيره: تشير إلى توحيد الألوهية، وما قبلها: يشير إلى توحيد الربوبية، وما قبله: يشير إلى توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وأول العبارة يشير إلى جميع أنواع التوحيد كلها.

واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره» ، فلا إله غيره : تشير إلى توحيد الألوهية ، وما قبلها : يشير إلى توحيد الربوبية ، وما قبله : يشير إلى توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وأول العبارة يشير إلى جميع أنواع التوحيد كلها .

وقد قال شارح الطحاوية - وهو الإمام ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله تعالى - : «ثم التوحيد الذي دعت إليه رسلُ الله ونزلت به كتبه نوعان : توحيد في الإثبات والمعرفة ، وتوحيد في الطلب والقصد»[1] .

وذكر هذا شارح «الفقه الأكبر» المُلا علي القاري ، حيث قال : «ابتداء كلامه ـ سبحانه وتعالى ـ في الفاتحة بالحمد لله رب العالمين يشير إلى تقرير توحيد الربوبية ، المترتب عليه توحيد الألوهية ، المقتضي من الخلق تحقيق العبودية»[2] .

فما أشار إليه الطحاوي وقرره ابن أبي العز والملا علي القاري دل عليه القرآن :

قال ـ تعالى ـ : ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولُن الله فأنى يؤفكون﴾ [الزخرف : ٨٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿قُل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ [يونس : ٣١] .

وقال - تعالى - : ﴿قل لمن الأرض ومن

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣١) .

(٢) «شرح الفقه الأكبر» (ص١٥) .

فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من ربُّ السموات السبع وربُّ العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ [المؤمنون : ٨٤ - ٨٩] .

فأخبر الله - تعالى - أن المشركين الذين بُعث فيهم محمد ﷺ معترفون بالربوبية ولا ينكرونها ، ولا يجعلون أحداً من آلهتهم شريكاً لله في ربوبيته ؛ من الخلق والرزق والملك والتدبير والتصريف ، فهذه الحقيقة لا ينكرها المشركون ، وأخبر - تعالى - أن المشركين أنكروا على النبي ﷺ حقيقة أُخرى لما نهاهم عن اتخاذ الشركاء وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده .

فهذا باطلٌ عندهم ، وفاسدٌ ، وقالوا ما حكى الله عنهم في كتابه الكريم : ﴿أَجَعَلَ الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عجاب﴾ [ص : ٥] .

لذا تعجَّبوا كيف يُنهى عن اتخاذ الشركاء والأنداد ويأمر بإخلاص العبادة لله وحده !

وأما الأدلة من السُّنَّة ؛ فهي : أنّ النبي ﷺ كان يُعَلِّمُ أصحابه والداخلين في الإسلام من جديد بأن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً ، حيث كانوا مقرِّين بأن الله هو الخالق . فقد روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم ؛ فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . .»[1] .

وفي رواية : «إنك تقدم على قوم أهل كتاب ؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله - تعالى - . . .»[2] .

وفي رواية أخرى ، قال : «إنك تقدُمُ على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله - عز وجل - . . .»[3] .

وكذلك قال النبي ﷺ : «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا

(١) أخرجه البخاري : «كتاب الزكاة - باب أخذ صدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا» (٣/٣٥٧ ح١٤٩٦) من طريق أبي معبد عن ابن عباس .

(٢) أخرجه البخاري : «كتاب التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله - تعالى -» (١٣/٣٤٧ ح٧٣٧٢) من طريق أبي معبد عن ابن عباس .

(٣) أخرجه مسلم : «كتاب الإيمان - باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام» (١/٥١ ح٣١) من طريق أبي معبد عن ابن عباس .

بحق الإسلام ، وحسابهم على الله»[1] .

وأخبر النبي ﷺ أصحابه أن حق الله على العباد أن يوحِّدوهُ - سبحانه - بالعبادة ويفردوه في ذلك ، ويتجرَّدوا من الشرك قليله وكثيره ، صغيره وكبيره ، حيث قال لمعاذ بن جبل : «أتدري ما حقُّ الله على العباد؟» ، قال : الله ورسوله أعلم ، قال : «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حقُّهم عليه؟» ، قال : الله ورسوله أعلم ، قال : «ألا يعذِّبَهم»[2] .

وأما في لغة العرب : فإن معنى الرب غيرُ معنى الإله ، فالأول : يدلّ على الإحاطة والخلق والإيجاد والتربية ، والثاني : يدلّ على المعبود بحق أو باطل - كما سيأتي تفصيل ذلك في موضعه - .

فالمقصود : أن الكتاب والسنة واللغة دلت جميعها على أن هناك فرقاً بين الربوبيّة والألوهية .

وهذا خلاف ما عليه المتكلمون ؛ فهم خلطوا معنى الألوهية بالربوبية ، وظنُّوا أن الألوهية هي القدرة على الاختراع ، فمن أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره ؛ فقد صار - عندهم - موحداً ، وليس الأمر كما ذهبوا إليه ؛ بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد دون غيره .

أقسام التوحيد عند مخالفي أهل السنة:

لقد وُجِدت طوائفُ من المخالفين لأهل السنة والجماعة في بيانهم لأقسام التوحيد ، ومن أهم الطوائف التي جعلت للتوحيد أقساماً تخالف تقسيم أهل السنة له ، ومنهم المتكلمون والصوفية ، وهذا بيان أقسام التوحيد عند كلٍّ من الطائفتين :

أولاً: المتكلمون:

وَيُقصد بهم جمهورُ الأشعرية والماتريدية ، وهؤلاء قد سلكوا مسلكاً مجانباً لمسلك أهل السنة في تقسيم التوحيد :

فعند الماتريدية التوحيد ثلاثة أقسام :

(١) توحيد في الذات ؛ فالله لا قسيم له ، أي : لا يتبعّض ولا يتجزأ[3] .

---

(١) أخرجه البخاري : «كتاب الإيمان - باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلُّوا سبيلهم﴾» (١/٧٥ ح٢٥) من طريق واقد بن محمد عن أبيه عن ابن عمر ، ومسلم : «كتاب الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله» (١/٥٣ ح٣٦) من طريق زيد بن عبدالله عن ابن عمر .

(٢) أخرجه البخاري : «كتاب التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله» (١٣/٣٤٧ ح٧٣٧٣) ، ومسلم : «كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة - قطعاً -»(١/٥٩ ح٥٠) كلاهما من طريق الأسود بن هلال عن معاذ بن جبل .

(٣) انظر «العقائد النسفية مع شرحها» للتفتازاني» (ص٣٩) .

(٢) وتوحيد في الصفات ؛ فالله لا شبيه له .

(٣) وتوحيد في الأفعال والصنع ؛ فالله لا شريك له .

وفي ذلك يقول الملا علي قاري : «واحد في ذاته واحد في صفاته وخالق لمصنوعاته»[١] .

ويقول البابَرْتي : «وعبّر بعض أصحابنا عن التوحيد ، فقال : هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله - تعالى - واحد في أفعاله لا يشاركه أحد في إيجاد المصنوعات ، وواحد في ذاته لا قسيم له ولا تركيب فيه وواحد في صفاته لا يشبه الخلق فيها»[٢] .

ويقول الغُنَيمي الحنفي : «الواحد صفة سلبية تقال على ثلاثة أنواع :

الأول : الوحدة في الذات : والمراد بها انتفاء الكثرة عن ذاته - تعالى - بمعنى عدم قَبولها الانقسام .

الثاني : الوحدة في الصفات : والمراد بها انتفاء النظير له - تعالى- في كل صفة من صفاته .

والثالث : الوحدة في الأفعال : والمراد بها انفراده - تعالى - باختراع جميع الكائنات»[٣] .

وأما الأشعرية ؛ فقد سلكوا نفس مسلك الماتريدية في تقسيم التوحيد .

قال الشهرستاني : (إن الله - تعالى - واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له ، وواحد في أفعاله لا شريك له)[٤] .

مناقشة منهج المتكلمين في تقسيم التوحيد:

يتضح مما سبق سياقه - في بيان منهج الأشعرية والماتريدية في تقسيمهم للتوحيد - أنهم منحرفون جداً عن منهج أهل السنة في بيان أقسام التوحيد ، ولا يخفى أن من تدبر في توحيد الماتريدية يتبين له ما يلي :

أولاً : أنه لا يوجد عندهم توحيد الألوهية ولا اهتموا به ، مع أن توحيد الألوهية هو المقصد الأعلى والهدف الأسمى من خلق الكون وما فيه ، ومن إنزال الكتب وإرسال الرسل .

ثانياً : اهتمامهم الكبير بتوحيد الربوبية ؛ فقد جعلوه هو المقصد الأعلى والغاية العظمى مع أنه أمر فطري لم يختلف فيه أهل الملل والنحل .

ثالثاً : قصدهم بتوحيد الذات : أن الله لا يتجزأ ولا يتبعّض ، بل هو - سبحانه - أحد

---

(١) «ضوء المعاني» (ص١٣) .

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» للبابرتي (ص٢٩) .

(٣) انظر : «شرح العقيدة الطحاوية» للغنيمي (ص٤٨) .

(٤) «الملل والنحل» (١/١٤٠) .

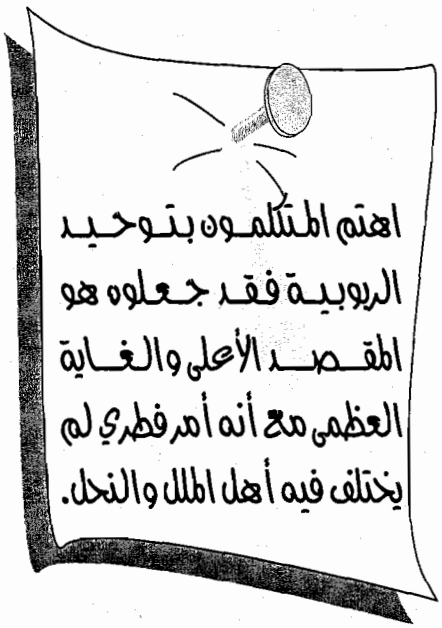

صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد[1] .

وهذا حق ، لكنهم أدخلوا فيه نَفيٌ كثيرٍ من الصفات كالوجه واليدين ، وأدخلوا فيه نفي علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ، فهم يظنون أنه لو ثبتت لله هذه الصفات لكان الله مركّباً مبعّضاً ، فكلامهم هذا من قَبيل : كلمة حق أريد بها باطل .

ثانياً - الصوفية:

والصوفية - كذلك - من الطوائف التي خالفت منهج أهل السنة في هذا المضمار فذهبت طوائف من المنتسبين إلى التصوف إلى تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

(١) توحيد العامة : وهو توحيد الألوهية .

(٢) توحيد الخاصة : وهو الذي يثبت بالحقائق ، أي : يثبت بالمكاشفات .

(٣) توحيد خاصة الخاصة : وهو التوحيد القائم بالقِدَم[2] ؛ وهو المفضي إلى القول بالحلول والاتحاد ، والفناء في ذات الله - بزعمهم - حتى تسقط التكاليف عن الموحد ، ويفسرون قوله - تعالى - : ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ على أنه هذا النوع من التوحيد .

مناقشة الصوفية في هذا التقسيم للتوحيد:

من الواضح أن الصوفية قد انحرفوا جداً عن مذهب أهل السنة ومنهجهم في تقسيم التوحيد ، فهم جعلوا توحيد الألوهية الذي بُعثت الرسل بتقريره والدعوة إليه ، جعلوه توحيد العامة ، وأدنى أنواع التوحيد ، وأما النوعان - الثاني والثالث - ؛ فهما مُفْضِيان إلى القول بالحلول والاتحاد - كما سبق - ، ومقتضى تقسيم الصوفية هذا : أن أصحاب التوحيد - الثاني والثالث - أعلى منزلةً ومكانةً من الأنبياء والمرسلين الذين لم يعرفوا هذا النوع من التوحيد ، ولم يفنوا في ذات الله - كما تزعم الصوفية - ، ولا تكلموا حول هذا التقسيم ، فالأنبياء والرسل قد قصروا عن إدراك هاتين

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/١٠٠) .

(٢) كما في «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٧) .

الدرجتين في التوحيد كما تزعم الصوفية ، مع أن الله - تعالى - جعل كل من أعرض عن ملة إبراهيم - عليه السلام - مسفهاً لنفسه ، فقال - تعالى - : ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سَفِهَ نفسَه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [البقرة : ١٣٠] .

فكيف يتسق تقسيم الصوفية للتوحيد مع هذه الآية وغيرها؟! مما يوضح أن أكمل الناس توحيداً إبراهيم ومحمد - عليهما السلام - ، وهما لم يتكلما بتقسيم الصوفية هذا ، ولا ذُكر عنهم أدنى إشارة إليه .

دلالة (لا إله إلا الله) على التوحيد بكل أنواعه:

كلمة (لا إله إلا الله) هي العروة الوثقى ، وكلمة التقوى ، وأساس التوحيد ، وقد دلت هذه الكلمة على جميع أقسام التوحيد التي ذكرها أهل السنة والجماعة ، وذلك على النحو التالي :

(أ) دلالتها على الألوهية:

وذلك لأن معناها الحقيقي : لا مستحق للعبادة إلا الله - تعالى - ، (فلا إله) نفت استحقاق العبودية عما سوى الله - تعالى - ، و(إلا الله) أثبتت جميع أنواع العبادة لله وحده ، فهذه دلالتها على توحيد الألوهية .

(ب) توحيد الربوبية:

أي : انفراد الله - تعالى - بخصائص الربوبية ، وقد دلت كلمة (لا إله إلا الله) على توحيد الربوبية على سبيل التضمن ، فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بالدلالة ، وذلك لأنه لا يستحق أن يفرد بالعبادة إلا من كان منفرداً بالربوبية ، كما قال الله - تعالى - : ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو﴾ [فاطر : ٣] فدلت الآية على أنه لا يستحق أن يعبد إلا المنفرد بالملك والرزق وغيره من أمور الربوبية ، وهكذا نجد أن كلمة التوحيد دالة على توحيد الربوبية على سبيل التضمن .

(ج) توحيد الأسماء والصفات:

وذلك لأن **إثبات وجود الله أصلاً يعد إثباتاً لأسمائه وصفاته، وذلك لأنه لا يتصور وجود ذات دون أسماء وصفات، لأن هذا لا يصح إلا في حق الممتنعات والمعدومات** ، وقد نصَّ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تعالى - على دلالة كلمة «لا إله إلا الله» على جميع أنواع التوحيد ؛ حيث قال - رحمه الله - تعالى - : «وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات ، وهي الأصول الثلاثة : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أنزل إليهم ، وهي الأصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر»[1] .

(١) نقلاً عن كتاب «التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية»(ص٩) .

وسائل بناء الجيل المسلم على أسس من العلم الشرعي[1]

● بقلم: الشيخ الدكتور صالح السدلان

الوسائل والأهداف صنوان لا يفترقان في محيط بناء المسلم، ويرتبطان ارتباطاً كاملاً في مناهج التربية والسلوك، فلا يمكن تقويم الهدف من غير الوسيلة التي تؤدي إلى تحقيقه، ولا يمكن تقويم الوسائل بمَعزل عن الأهداف، فالوسائل هي أداتنا الوحيدة لتحقيق ما نؤمن به من الأهداف.

وينبغي العناية الكاملة بها والتدقيق في بحثها واختيارها؛ إذ الوسيلة الفاسدة تضيع الهدف الصالح، وتحيد به وعن الطريق القويم، **والأمة الناجحة هي الأمة التي تبذل قُصَارى جهدها في بناء جيلها وإعداده بما يجعله في مستوى تكريم الله له، وبما يجعله قادراً لا على استهلاك معطيات الحضارة - فقط -؛ بل على بنائها واستغلالها والاستفادة منها والإضافة إليها، وإذا كان العلم يمثّل أبرز سمات العصر الذي نعيش فيه؛ فإنه من المهامّ الأساسية في بناء جيل مسلم يعمل على إيجاد العقلية العلمية التي جاءت أولى آيات الوحي موجّهة إلى وسيلتها**، وهي العلم المرتبط بمصدر المعرفة عن الله - سبحانه وتعالى - : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ

(١) انظر في هذا الموضوع: «مشكلات الشباب وطرق الحلول المطروحة والحل الإسلامي»، (ص١١٤)، د. عباس محجوب، و«من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر»، (ص٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٥ - ١٩٤ - ١٩٦ - ١٩٧ - ٢٢٥). و«نحو منهج البدائل الإسلامية» (ص٩). و«مفتاح السعادة» (١/١١٧) و«إحياء علوم الدين» (ص١/٤٦) و«خلق المسلم»، (ص٢٢٠).

وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ فواجبنا أن نعمل على امتلاك المسلم - مهما كان جنسه أو لونه - لناصية العلم ، حتى يعيشَ عصرَه ، ويبني مستقبله في عالم يؤكد كل يوم على مكانة العلم وأهميته في بناء الحضارة وإسعاد البشرية ، ولكن ماهي الوسائل إلى ذلك؟!

إن وسائل بناء الجيل المسلم - كما أراه ويراه كلُّ مطّلع على أحوال الجيل وسبر أغواره - تشمل :

أ - حماية الفكر السليم الموجود بالفعل .

ب - تكملة النقص في مجالات البحث الإسلامي - إنسانياً - .

ج - تصحيح المنحرف من الموجود حالياً .

د - منع التيارات المعاكسة للفكر الإسلامي ومحاربتها وصدها .

هـ - كما أنه ينبغي العناية بمقومات دين الإسلام في المناهج والتدريس والتأليف ووسائل الإعلام ؛ بأن توجه وجهة إسلامية في معالجة قضايا الأمة حتى تكون منبثقة من الإسلام ، وبناء عليه لا بد أن تكون دراسةُ العلومِ الشرعيةِ أساسيةً في جميع مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية وما فوقها .

و - لكي يكون العلم الشرعي موجهاً ومرشداً يجب أن يكون طلبه على أسس صحيحة ، وعلى أسس سليمة تؤصل كلمة التوحيد في قلب المتعلم ؛ فتنمو فيه القيم العليا التي تجعله في مأمن ، بعيداً عن الشذوذ والانحراف ، فينطلق رجلاً في بيته وفي طريقه وفي عمله ومع الناس في معاملتهم وهو - قبلاً - مع ربه في سره وعلنه .

ز - من وسائل تهيئة الجيل للعلم الشرعي يجب أن نفتح أمام المسلم فرصة تلقي العلم خارج حدود وطنه ؛ فالعلم كالسُّحُب السيّارة في الفضاء ، لا تُحتبس في أفق ، ولا يحتكرها قطر ، والعلم ليس له وطن خاص ، ومن مظاهر ذلك لا كله - :

* إيجاد منح دراسية علمية .

* عقد المؤتمرات والندوات التي تساعد على ذلك ، وتُسهم بدور فعال في نشر العلم بين الأمم .

❖ فالوسائل هي أداتنا الوحيدة لتحقيق ما نؤمن به من الأهداف، وينبغي العناية الكاملة بها والتدقيق في بحثها واختيارها..

* تزويد الدول الإسلامية وغيرها بالمدرّسين الأكفاء والدعاة والمحاضرين الذين نهلوا من منابع العلم والثقافة الإسلامية الأصيلة .

* تزويد المعاهد والمدارس والكليات والمكتبات العامة والخاصة داخلياً وخارجياً بالكتب الدينية والصحف والنشرات المفيدة .

* إقامة منشآت تعليمية أو المساهمة في إقامتها على أحدث الطرز والمواصفات العالمية في جميع أقطار العالم الإسلامي والعربي ؛ بل والدول غير الإسلامية ، وإقامة الدورات لتدريس العلوم الإسلامية والعربية ، والإنفاق عليها وتيسيير دفة التعليم بها .

ح - من أهم الوسائل المعينة على تعلُّم العلم الشرعي وجعله موجهاً للأمة ومرشداً لها وجود المال الذي يُسَيِّر دفةّ التعليم ، ويموّله ويجعله مستمراً نامياً يواكب تطور الحياة .

ط - التفاعل الواعي مع التطورات الحضارية العالمية في حدود أُطُر وضوابط ؛ ليواكب العلم الشرعي الحضارة ، ويتواكب مع حاجات الأُمة في جميع ميادين العلوم والثقافة والآداب ، ويكون بتتبعها والمشاركة فيها وأسلمتها وتوجيهها بما يعود على المجتمع والإنسانية بالخير والتقدم .

* * * *

من واجبات الإمام في تعليم الأمة

قال ابن حزم - رحمه الله -: «.. وكل من كان منّا في بادية لايجد فيها من يعلّمه شرائع دينه ففرض على جميعهم - من رجل أو امرأة - أن يَرْحَلوا إلى مكان يجدون فيه فقيهاً يعلّمهم دينهم، أو أن يُرَحِّلوا إلى أنفسهم فقيهاً يعلمهم أمور دينهم، وإن كان الإمام يعلم ذلك فَلْيُرَحِّل إليهم فقيهاً يعلّمهم، قال الله - تعالى -: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾، وبعث - عليه السلام - معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، وأباعبيدة إلى البحرين، معلّمين للناس أمور دينهم، فَفَرْضٌ ذلك على الأئمة» «الإحكام» (جـ ٥ ص١١٨).

وقال ابن حزم أيضاً - بعد أن وَصَف فرض العين من العلم -: «ويُجْبر الإمامُ أزواجَ النساء وسادات الأرقّاء على تعليمهم ما ذكرنا، إما بأنفسهم وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلّمهم، وفرضٌ على الإمام أن يأخذ الناس بذلك، وأن يرتّب أقواما لتعليم الجُهَّال» «الإحكام» (جـ ٥ ص١٢٢).

زفرةٌ وأنين... على إمام المحدِّثين..

● بقلم: محبّ الدين أبي بكر السُّنّي

زفرةٌ وأنين . . . على إمام المحدِّثين . .
شيخِ الإسلام ، وشامة بلاد الشّام . .
مجددِ شَبابِ الأَثَرِ ، في القرن الخامسَ عَشَر . .
رافع رأسِ الشرْعة ، ودافع رجْس البدعة . .
أسَدَ العلم والسُنّة ، المرجوُّ أنه من أهلِ الجنّة
علامةِ هذا الزمان ، إمامِ الدنيا أبي عبدالرحمن . .
العلَمِ الرباني ، ناصرِ الدين والسنة الألباني - رحمه الله - .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم الشانِ ... وبه نعوذ من الهوى الفتّانِ
ثم الصلاة على النبيِّ محمدِ ... خير الرجال، مبلّغ التبيانِ
يا رب ألهمنا بفضلك رشدنا ... فبغير فضلك نحن في خذلانِ
واختر بعلمك ما ترى خيراً لنا ... أنت العليم بحكمة الحدَثانِ
ولقد رضينا ما قضيتَ، وإنه ... للحقُّ، ما في ذاك من نكرانِ
لكنها نفثات صدرٍ يشتكي ... من غربة الإسلام والإيمانِ
يبكي ولا يحكي - وإن جل الأسى - ... ما يغضب الرحمنَ ذا الغفرانِ
فيقول، يرجو الصفح عن زلاته ... من ذي الجلال الغافر المنانِ:
ماذا يحاول في رثاك لساني ... وبأي خط يستقيم بناني

من أين أبدأ، يا لحَيْرَة فكرتي ... أيحيط بالجبل الأشمّ بياني
لك مِنّة لا يستطيع جحودَها ... متعالم أو حاسد أو شاني
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا شأوه ... والجاهلون خصوم ذي العِرفانِ
وجزاء سِنْمار جزَوك بقولهم ... والفعلِ، فاستعصى على النسيانِ
ما زال في سمعي صداك مردداً ... في رد قول الزور والبهتانِ
غيري جنى وأنا المعذب فيكمُ ... فكأنني سبابة الندمانِ
إنْ يجحدِ الفضلَ الحسودُ فإنما ... يدريه أهل الفضل والإحسانِ
يا ناصر الدين الذي جددتَه ... يا شيخ أهل الأرض يا ألباني
قد قيّض الرحمن بعدك ثُلّةً ... تُخزي نبال الطعن والعدوانِ
أعددتَهم بالعلم حتى أصبحوا ... مثلَ الأسود تجول في الميدانِ
وعليٌّ الحلبيُّ بَرَّ بشيخهِ ... نِعم الحواريُّ الرفيع الشانِ
والوادِعيُّ الشيخ، أعني مُقبلاً ... علَمٌ عليم بالحديث، يماني
قمع البدائع والروافض قِيلُه ... فبدا الصراط لأعين العُميانِ
وأبو أسامةِ الهلاليُّ الذي ... جلّى المحجّة قولُه لعيانِ
وأبو عبيدةَ، وهْو مشهورٌ، فقد ... رفع اللواء على بني سلمانِ
وأخو بني العباس عيدٌ شيخنا ... صرع التعصبَ كُلَّه ببيانِ
وكذاك حمديْ شيخنا السلَفي ما ... في اللفظ من لفٍّ ولا دوَرانِ
والوانليُّ الشاعر الفَذُّ الذي ... (جعل الرثاء قلائد الإخوانِ)
إذ قال: من يرثي أبا الخير الذي ... يوماً سيتبع سائرَ الصنّوانِ
يا منشداً (مات المجددُ شيخُنا) ... دع عنك سوءَ الظن بالخِلانِ
فينا من الشعراء يا أستاذُ من ... لا يُغْفلون ترجُّل الفرسانِ
لا غروَ أن يبكى ويُستبكى على ... أشبال ليث السنة الألباني
شيخ فقيه في الحديث ومقتدٍ ... بالترمذيِّ وأحمدَ الشيباني
يفلي أسانيد الحديث بحنكةٍ ... ويظل في كتُب الرجال يعاني
حتى يجيء بحكمه ويسوقَ ما ... يشفي الصدور بساطع البرهانِ
يا أيها الشيخ المجدد دينَه ... إذ أنت شامة قومة (الألبانِ)

جددتَ في علم الحديث شبابَه ... فحكيتَ نفخ الروح في الأبدانِ
أحيا بك الله العلومَ وكلُّها ... في السنة الغراء والقرآنِ
وبعثتَ فينا صحوة من بعد ما ... كان الحديث قراءةَ الوَسْنانِ
كنا كحاطب ليلٍ ادّارى به ... لا فرق بين الجزْل والثعبانِ
نروي أقاويل المذاهب وهْي لا ... تغني عن الآثار والفرقانِ
فَبَرَزْتَ فينا داعياً ومنادياً: ... يا معشر الأشياخ والشُبّانِ
العلم قال الله، قال رسوله، ... قال الصحابة، ليس بالهذيانِ
دين النبي محمدٍ أخباره ... وهُو السبيل إلى رضا الرحمنِ
فَلْنَنْقُدِ الأخبارَ ولنحتط بما ... نرجو النجاةَ به من النيرانِ
هذا صراطي مستقيماً واضحاً ... لا تشتروا بالحقِّ ذا بُطلانِ
يكفي جلالك يا مجدد قرننا ... أن ليس ينكر فضلك الثَّقلانِ
يكفيك ما أجرى نعيُّك عندنا ... من أدمع جادت بها العينانِ
يكفيك أن القلب يحكي فيك ما ... لا تستقلُّ بحمله الشفتانِ
يكفيك أنك للضلالة قامعٌ ... تقضي بما قد سَنّهُ العُمَرانِ
يكفيك أنك لا تداري بدعةً ... وكذا يكون العالم الرباني
يكفيك أنك فخر أهل زماننا ... يكفيك أنك (شيخُنا الألباني)
وجهتُ وجهيَ للذي فطر السما ... أشكو طُروق البثِّ والأحزانِ
فالعين تدمع في فراق إمامنا ... والقلب يخشع في لظى الأشجانِ
وتجلُّدي للشامتين أُريهمُ ... أنْ لستُ خوّاراً ضعيفَ جنانِ
لكنّني أمسيتُ - يشهدُ ربنا - ... دمعي سميرُ الخدّ والأجفانِ
فعرفتُ طعم اليتْم بعد وفاته ... وبذاك تمت غربتي وكفاني
إنا إليكَ لراجعون إلَهنا ... نرجو ثوابَ الصبر والكتمانِ
اخلفْ على الإسلام خيراً واحفظنْ ... بالعلم حوضَ الدين والإيمان
وارفع مقام الشيخ واجمعنا به ... يا ربنا في جنة الرِّضوانِ
إن كان قد قُبض الإمام فلا تنمْ ... عينُ الحسودِ، فكلُّنا (ألباني) !

❖ ❖ ❖ ❖

اكتملت الأحزان... وانتُقِصت الأرض...
وقضى نحبَه فقيهُ الأمة

● بقلم: أيمن حسن خالد

الحمد لله الذي بيده الخلق والإنشاء ، والذي يفعل ما يشاء ، والذي يُعلي قَدْرَ الأسوياء ، اصطفى المرسلين والأنبياء ، ورفع أهل الايمان والعلماء ، قال - تعالى - : ﴿يرفع اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجاتٍ﴾ .

العلم كنز عظيم ، ذو فضل عميم ، ولأهله منزلة عالية ودرجة رفيعة ، فالعلماء بعلمهم نجوم هادية لمن سار في الليالي المظلمة ، وغيث مدرار يأتي على الأرض الهامدة ؛ فتهتزّ وتربو ، ثم تنبت من كل زوج بهيج ؛ وهم هداة ينيرون السبيل للسالكين ، وهم منائر الأرض ومنابرها ، وهم نجومها وزينتها ، هم نجوم إذا انطمست ضل السائرون طريقهم ، وكواكب إذا تهاوت التبست على الحيارى مسالكهم ، رفع الله مقامهم ، ونوه بذكرهم ؛ فقال ـ عز وجل ـ :

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾ ، ففي هذه الآية بدأ الله بنفسه ، وثنى بملائكته ، وثلث بأهل العلم ، وكفاهم ذلك فضلاً وشرفاً وقدراً ، فهم الأمناء المخلصون المصلحون ، ينفون عن دين الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ؛ يقول ابن القيم : «هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء ، يهتدي بهم الحيران في الظلماء ، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والماء ، وطاعتهم أفرض من طاعة الأمهات والآباء ، هم القادة ، والأئمة تتبّع آثارهم ،

ويُقتدى بأفعالهم ، يستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر ، وسباع البر .

العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ؛ فمن أخذ بالعلم أخذ بحظ وافر .

وموت العالم مصيبة لا تُجبر ، وثلمة لا تسد ، وموت جماعة أيسر من موت عالم ، إذ بموتهم وانطفاء أنوارهم تنتقص الأرض من أطرافها ، كما ورد ذلك عن ابن عباس قال : «خراب الأرض بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير فيها» .

يقول رسول الله ﷺ من حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ؛ ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ؛ فضلوا وأضلوا» [رواه البخاري ومسلم]» .

إن هذا الحديث يدل على أهمية العلم ، ويبين فضله ، ويعلي من شأن العلماء ويعظم قدرهم ، وإن موتهم ورحيلهم عن الدنيا هو قبض للعلم ، وإن الله ـ عز وجل ـ لا يقبض العلم من قلوب العلماء ؛ بحيث يكون الإنسان عنده علم ثم تأتي ساعة وليس عنده علم ؛ وإنما يكون قبض العلم بموت العلماء .

وبعد ؛ فما كادت الأحزان أن تَقِف ، والدموع في مآقيها تجفّ ، والجراح في القلب تلتئم وتخفّ ؛ بفقد كوكبة من العلماء ، على رأسهم سماحة شيخ الإسلام وعلامة الزمان عبدالعزيز بن باز ، ومحدث العصر وأسد السُّنَّة الإمام المحدّث محمد ناصر الدين الألباني ، وإذا بالخبر العظيم ، **والحدث الجسيم، والمصاب الجلل، الذي وقع صداه على أسماعنا مخبراً ومعلناً وفاة بقية السلف، وخيرة الخلف، وفقيه الدنيا - في هذه الأيام - الشيخ العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين، فإذا بالحزن يعود ليملأ القلوب، وإذا بالدموع تنهمر**

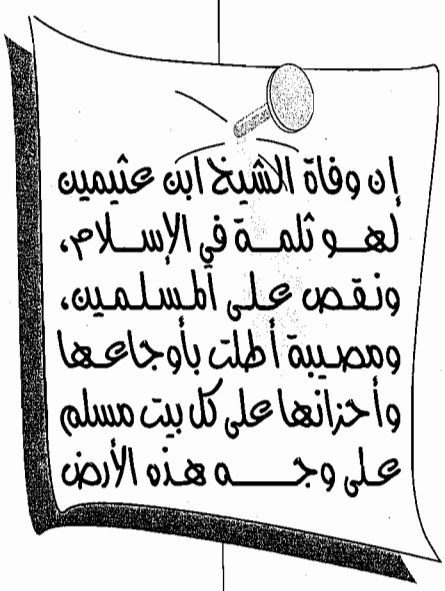

كالغيث الوابل ، وإذا بالجرح ينزف ، وحُقَّ لنا ذلك ؛ فقد كان الشيخ الأمل والرجاء بعد الله ، وكان نِعْمَ المعلم والمنهل العذب الذي يقصد بعد وفاة الشيخين .

إن وفاة الشيخ ابن عثيمين لهو ثَلْمة في الإسلام كبيرة ، ونقص على المسلمين عظيمٌ ، ومصيبة أطلّت بأوجاعها وأحزانها على كل بيت مسلم على وجه هذه الأرض ، فقد كان الشيخ - رحمه الله - بحراً زاخراً بالعلم لا ينضب ، وسراجاً منيراً يبدد الظلمات لا ينطفئ ، وغيثاً كثيراً مباركاً لا ينقطع .

كان - رحمه الله - طوداً شامخاً في العلم والزهد والتقوى ، داعياً معلماً للكتاب والسُّنَّة ، لا يكلّ ولا يملّ ولا يتعب ، له الباع الطويل في كل فن من فنون العلم : في الفقه ، والعقيدة ، والتفسير ، واللغة ، ورث العلم وحمل الأمانة وبلغها على خير وجه ، نذر نفسه للتعليم والفتوى ونشر الخير بين الناس ، وعرف عنه الجرأة في الحق والفتوى ، وكان لعلمه ونصحه وفتاواه الدَّور الكبير في الحفاظ على الدِّين ، وسلامة المعتقد ، كان واسع العلم ؛ محيطاً بمصادر الشَّريعة من القرآن والسُّنَّة وأقوال السلف ، كان صاحب أخلاق كريمة ، يتميز بالتواضع واللطف وحسن المعاشرة ، وكان الشيخ - رحمه الله - الدِّرع الحصينة التي تتحطم عندها كل المعاول التي تحاول المساس في الدين والعقيدة ، وكان - رحمه الله - يحظى بالقبول عند العلماء وطلبة العلم في شتى بقاع الأرض ، وكان أكثر ما يتميز به الشيخ - رحمه الله - التواضع والزهد في الدنيا ؛ وخير ما يدل على ذلك : أن الشيخ مع أنه من هيئة كبار العلماء ويدرِّس في الجامعة إلا أنه - إلى سنوات قريبة - كان يسكن في بيت من الطين ، وليس ذلك لقلة يد أو ضيق رزق ، بل إن الدنيا فتحت له ذراعيها وجاءت إليه راكضة مسرعة ، ولكنه صدها وأعرض عنها ، ومن ذلك أن أحد الكبار أعطى الشيخ مبلغاً كبيراً من المال ، وما أن وصل المال إلى الشيخ حتى أشهد من في مجلسه أن هذا المبلغ هو وقف لطلبة العلم ، وكذلك فقد أهديت له من وليّ الأمر بناية من عدة أدوار فجعلها وقفاً لطلبة العلم ، هكذا عاش الشيخ وهكذا مات - رحمه الله - .

وفي النهاية ؛ فإننا نشكو إلى الله قبض العلم ، وظهور الجهل ، وتخبط الناس ، ونشكو إلى الله حالنا وأحزاننا في

فَـقْـدِ علمـائنا وأئمـتنا ، وإلى الله نشكو غـربتنا من بعـدهم ، وإلى الله نرفع أَكُفَّ الضـراعـة : أن يتـقـبل علمـاءنا ، وينفع بعلمهم وآثارهم ، وأن يجعل الخير والعوض بعـدهم في إخـوانهم من العلمـاء وأبنائهم من طلبة العلم .

وإننا نشـهـد الله على حب العلمـاء وحب من أحـبـهـم؛ لأن حـبـهـم طاعـة وقربة إيمان؛ يتقرب بها العبد إلى الله، وإذا أحب الله عـبـداً حـبب إلى قلبـه العلمـاء، فـأحـبـهـم في الله ودعـا لـهم واعتقد فضلهم؛ وكان خير معين لهم، يذكـر مـآثرهم وينشـر فـضـائلهم، ويذكرهم بصالح الدعوات ويسأل الله أن يسبغ عليهم الرحمات ، ومن أحب العلماء حشر مع الأتقياء السعداء - و«المرء يحشر مع من أحب» - ، رحم الله الشيخ العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين ، فعلى مثله يكون الحزن ، وعلى مثله تذرف العين دمعها ، وعلى مثله يذوب القلب من حزن ومن كمد ، إن كان في القلب إسلام وإيمان .

نسأل الله أن يرفع درجته في عِلِّيِّين ، ويعوِّض المسلمين بفقده خيراً .

وصلى الله على مـحـمـد وعلى آله وصحبه أجمعين .

لولا العلم كان الناس كالبهائم

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

«إن كل واحد منا مأمور بأن يصدق الرسول فيما أخبر به، ويطيعه فيما أمر، وذَلك لا يكون إلا بعد معرفة أمره وخبره، وَلم يوجب الله - سبحانه - من ذلك على الأمة إلا مافيه حفظ دينها ودنياها وَصلاحها في معاشها وَمعادها، وَبإهمال ذلك تضيع مصالحها وَتفسد أمورها؛ فما خراب العالم إلا بالجهل، ولا عمارته إلا بالعلم، وإذا ظهر العلم في بلد أو محلة قلَّ الشر في أهلها، وَإذا خفي العلم هناك ظهر الشر وَالفساد.

ومَنْ لم يعرف هذا فهو ممن لم يجعل الله له نوراً؛ قال الإمام أحمد: «ولولا العلم كان الناس كالبهائم»، وَقال: «الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام وَالشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثاً، وَالعلم يحتاج إليه كل وَقت»».

«إعلام الموقعين» (٢/٢٣٧ - ٢٣٨).

الحلقة الأولى

(كذبوا علينا... ففضحناهم بالتاريخ)

مذكرات (همفر) في الميزان

● بقلم: مالك بن حُسين

وقفت على كتاب موسوم بـ (مذكرات مستر همفر)[1] ، وهذا الاسم ليس بالغريب ؛ فقد كنت أول ما قرأت عنه في «مجلة منار الهدى» التي يصدرها المكتب الإعلامي في جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية ، (العدد ٢٨) ، رمضان ١٤١٥هـ - شباط ١٩٩٥ ، وهي مجلة يصدرها جماعة الأحباش (الهَرَرِيّين) ؛

ولَمَّا قرأت ذلك المقال ، تطلَّعَتْ نفسي للاطلاع على كتاب أو مذكرات هذا الجاسوس الإنجليزي - نفسِها - ؛ حتى أنظر فيه ، وأعرف مدى صدق ما نُسِبَ للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في هذه المذكرات .

وبعد قراءة هذه المذكرات تبيَّن لي أنَّها

(١) وقفت على نسختين لهذه (المذكرات) ؛

الأولى باسم : «اعترافات الجاسوس الإنجليزي» الطبعة الرابعة ، قد طبعت طبعة جديدة بالأوفست وقف الإخلاص ، تطلب من مكتبة الحقيقة بشارع الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول - تركيا . هجري قمري (١٤١٣) ، هجري شمسي (١٣٧٠) ، ميلادي (١٩٩٢) ؛ تقع في (١٠٣) صفحة من القطع الوسط ، وبآخِرها ملحق بعنوان : (عداوة الإنكليز للإسلام) (ص١٠٤ - ١٤٨) ، وملحق آخر بعنوان (خلاصة الكلام) (١٤٩ - ١٨٦) .

الثانية باسم : «سيطرة الإنكليز ودعمهم لمحمد بن عبدالوهاب» ، أو «مُذكرات مستر همفر الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية» .

نقله إلى العربية الدكتور (م . ع . خ) ، تقع في (٨٥) صفحة من القطع الوسط ! ولا يوجد عليها أي معلومات عن دار الطباعة أو سنة الطبع !!

كـذب من أصلهـا ، وأنَّ (همـفـر) - هذا - شخصية وهميَّة ، فأحببت أن أُطلع إخواني على ما وقفت عليه ؛ حتى يكون هذا عوناً لهم في الدِّفـاع عن هذا الإمـام ـ رحـمـه الله ـ ، وليدفعوا بها في نحر كل مبتدع ؛ ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ [الإسراء : ٨١] .

قال الله - تعالى - : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ [الحجرات : ٦] .

في هذه الآية درس عملي للفئة المؤمنة ؛ التي تحرص على دينها وعلاقاتها بإخوانها المؤمنين ، بأن تتوثَّق من كلِّ إشاعة ترمي إلى خلخلة الصفِّ ، وبذر الشحناء ، وإتاحة الفرصة للفُرقة[1] .

وما زال أعداء (الشيخ محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - يُحاولون بشتى الطرق والوسائل تشويه (دعوته الإصلاحية)؛ وبضاعتهم مزجاة، ليس فيها إلا (الكذب) و(الافتراء)، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فيا طالب الحق ! رسائل الإمام المجدِّد (محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - ومؤلفاتُه مطبوعة على النحو التالي :

القسم الأول: العقيدة ؛ مجلد . **القسم الثاني** : الفقه ؛ مجلّدان . **القسم الثالث** : «مختصر سيرة الرسول ﷺ» ، والفتاوى ؛ مجلد . **القسم الرابع** : التفسير ، ومختصر «زاد المعاد» ؛ مجلد . **القسم الخامس** : الرسائل الشخصية ؛ مجلد . قسم الحديث : خمس مجلدات . ملحق المصنفات ؛ مجلد .

فهذه (اثنا عشر مجلداً) ، جمعتها لجنة علميّة متخصّصة ، منبثقة من جامعة (الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ، وصنَّفها وأعدَّها للتصحيح تمهيداً لطبعها : الدكتور (عبدالعزيز بن زيدٍ الرُّومي) ، والدكتور (محمد بلتاجي) ، والدكتور (سيد حجاب) ، وطبعت (بمطابع الرياض) .

فمن كان طالباً للحقِّ ؛ فعليه أن يُقارِن بين كلام الإمام - رحمه الله - وبين كلام خصومه ، فهذه كتبه ورسائله مطبوعة ، فما كان فيها من حقٍّ قبلناه ، وما كان فيها من خطأ ، ومُخالفة للصواب رددناه ، ولا نتعصَّب لأحدٍ ،

---

(١) «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية» : (ص٣٩) د . محمد بن سعد الشويعر .

(٢) قال الإمام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - : «لست - ولله الحمد - أدعو إلى مذهب صوفي ، أو فقيه ، أو متكلّم ، أو إمام من الأئمة الذين أُعظِّمُهم ؛ مثل : ابن القيم ، والذهبي ، وابن كثير ، وغيرهم ؛ بل أدعو إلى الله - وحده لا شريك له - ، وأدعو إلى سُنَّة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم ، وأرجو أني لا أردُّ الحقَّ إذا أتاني ؛ =

كائناً من كان ؛ إلا الذي لا ينطق عن الهوى ، الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ[٢] .

أمَّا أن نعتمد على كلام (كافر نصراني . . نكرة مجهول) ؛ كان يشرب الكأس إلى الثُّمالة[١] ، بل هو يذكر عن نفسه الكذب[٢] .

ومن جعل الغراب له دليلاً
يَمُرُّ به على جِيَفِ الكلاب

كيف يكون هذا ؛ والذي يتَّضح من رسائل وردود الإمام - رحمه الله - أنَّ فيها نفياً وتفنيداً لِمَا أُلصق بدعوته من تُهم وأكاذيب ؛ لم يقلها ؛ بل نفاها ، وكرَّر مراراً القولَ : «هذا بهتان عظيم»[٣] .

ورحم الله الإمام الذهبي القائل : «ولم نر ذلك في كتبه»[٤] ؛ وذلك لَمَّا حكى أموراً نقلها بعضهم قد اتُّهم بها الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - .

وإنني أقول : إنَّ ما ورد في هذه (المذكرات) هو محضُ هُراءٍ ، وكلامٌ عارٍ عن الدليل ، لا ينطلي إلا على أحد رجلين :

الأول : جاهل جهلاً مركباً ، غبيٌّ لا يُفرِّق ما بين كوعه وكرسوعه .

والثاني : صاحب هوىً مبتدع ، عدوٌّ لدعوة التوحيد .

فاتقوا الله ؛ فإن لحوم العلماء مسمومة، وسنَّة الله في منتقصيهم معلومة، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثَّلب؛ ابتلاه الله قبل موته بموت

= بل أُشهد الله وملائكته وجميع خلقه : إن أتانا منكم كلمة من الحقِّ لأقبلنَّها على الرأس والعين ، ولأضربنَّ الجدار بكلِّ ما خالفها من أقوال أئمتي ؛ حاشا رسول الله ﷺ ؛ فإنه لا يقول إلا الحقَّ . . .» اهـ (القسم الخامس من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب - الرسائل الشخصية) : (ص٢٥٢) .

(١) كما في (ص١٤ ، ١٩) من «مذكرّاته» .

(٢) كما في (ص١٥ ، ١٨ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٤) من «مذكرّاته» ! .

(٣) قال شيخ الإسلام (ابن تيمية) - رحمه الله - : «لم يزل الله - سبحانه وتعالى - يقيم لتجديد الدِّين من الأسباب ما يكون مُقتضياً لظهوره ؛ كما وعد به في الكتاب ؛ فيظهر به محاسن الإيمان ومحامده ، ويعرف به مساوئ الكفر ومفاسده ، ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدِّين ، وبيان حقيقة أنباء المرسلين ، ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين . . . ؛ وذلك أن الحق - إذا جُحد وعُورض بالشبهات - أقام الله - تعالى - له مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات ، بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة ، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة . . . قال - تعالى - : ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يَميز الخبيث من الطيب﴾ [آل عمران : ١٧٩] اهـ . «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» : (١/٨٤ - ٨٧) .

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٤/٢٧٧) .

القلب . . . نسأل الله السَّلامة والعافية .

■ **مذكرات (همفر) باطلة من أصلها و(همفر) شخصية وهميَّة:**

وبعد دراستي لهذه (المذكرات) تبيَّن لي أنَّ هذه المذكرات من نسج خيال (فَرْد) أو (مجموعة) ؛ المقصود منها تشويه دعوة (الإمام محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - بالكذب والافتراء ، والأدلة على ما أقول كثيرة ؛ إليك بعضاً منها :

أولاً : بِتَتَبُّع التواريخ المذكورة في (المذكرات) يظهر لنا أنَّ (همفر!!) لَمَّا التقى بالشيخ - رحمه الله - ؛ كان عمر الشيخ - الافتراضي - وقتئذ (عشر سنين !!) ، وهذا أمر لا يتناسب - بل يتناقض - مع ما ذُكر في المذكرات (ص٣٠) من أنَّ (همفر) تعرَّف : «على شاب كان يتردد على هذا الدكان ، يعرف اللغات الثلاث ؛ التركية والفارسية والعربية ، كان في زي طلبة العلوم الدينية ، وكان يسمى بـ(محمد بن عبدالوهاب) وكان شاباً طموحاً للغاية» اهـ .

وإليك تفصيلَ ذلك بالدليل :

- ذكر في (ص١٣) : أنَّ وزارة المستعمرات (البريطانية) أوفدته إلى الآستانة (مركز الخلافة الإسلامية) سنة (١٧١٠م - ١١٢٢هـ) .

- ذكر في (ص١٨) أنه مكث في الآستانة سنتين ؛ ثم رجع إلى لندن حسب الأوامر ؛ لتقديم تقرير مُفصل عن الأوضاع في عاصمة الخلافة .

- ذكر في (ص٢٢) أنَّه مكث في لندن ستة أشهر .

- ذكر في (ص٢٢) أنَّه توجه إلى

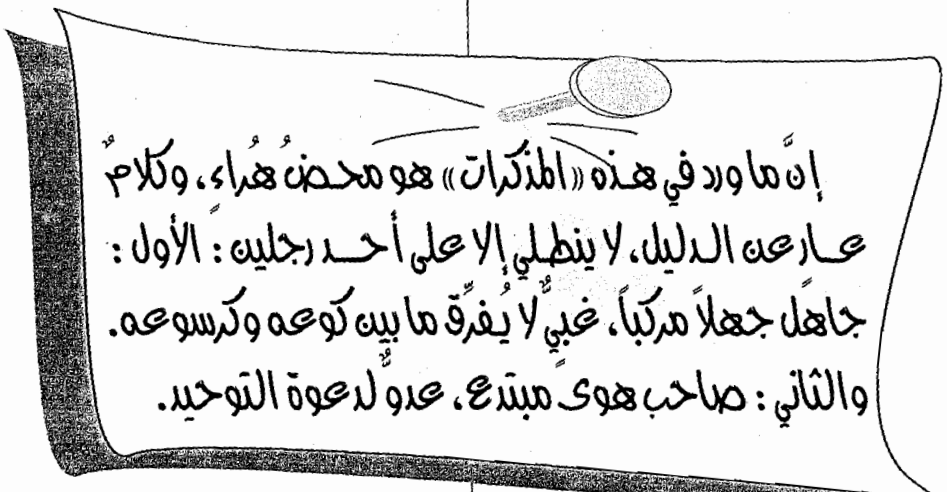

البصرة ، وأخذت منه الرحلة ستة أشهر .

- وفي أثناء وجوده في البصرة التقى بالشيخ - رحمه الله - .

- يكون مجموع التواريخ الماضية هو (١٧١٣) أي : سنة (١١٢٥هـ)[1] ، والشيخ - رحمه الله - ولد سنة (١٧٠٣م) (١١١٥هـ) ؛ فيكون عمر الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - وقت لقاء (همفر) به ؛ عشر سنين !! وهذا واضح جداً في بطلان هذه المذكرات جملةً وتفصيلاً .

ثانياً : ذُكر في (المذكرات) (ص١٠٠) أنَّ الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - أظهر دعوته في سنة (١١٤٣) هجرية ، وهذا كذب واضح ؛ حيث إنَّ تاريخ إعلان الشيخ - رحمه الله - دعوته هو نفسه التاريخ الذي توفي فيه والده ، وهو سنة (١١٥٣هـ)[2] ، فانظر إلى هذا التفاوت الواضح في التاريخ .

ثالثاً : إنَّ موقف (الحكومة البريطانية) من دعوة الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) ؛ ليس التأييد والدَّعم ؛ وإنّما هو العداء والمحاربة - كما سيأتي معنا بدليله - .

رابعاً : لا نَجِدُ ذكراً لهذه (المذكرات) في سالف الزمان ؛ رغم حرص أعداء هذه (الدَّعوة المُباركة) على تشويهها ، ونشر كل ما يُسيء إليها ، وخروجها في هذا الوقت المُتأخر دليل على افترائها وتلفيقها .

خامساً : (همفر) هذا (نكرةٌ) لا يُعرَف ؛ فأين هي المعلومات التفصيليَّة عنه ؛ من حيث اسمُه ، ورتبتُه ، وما يتعلَّق بوظيفته ومهمَّتِه من كتب ووثائق (الحكومة البريطانية)؟!

سادساً : إنَّ الذي يقرأ هذه (المذكرات) يجزم بأنَّ مؤلفها ليس نصرانياً ؛ لوجود كثير من العبارات التي فيها الطعن والانتقاص (بالدِّين النصراني) و(الإنجليز) أنفسهم ، وبعض - العبارات التي فيها مدح (الإسلام) ؛ من ذلك - على سبيل المثال - انظر : (ص١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٦) .

سابعاً : النسختان المطبوعتان ترجمةٌ لهذه (المذكرات) ، لم يُذكر فيهما أية

---

(١) وهذا ما وقع به التصريح في (مجلة منار الهدى) ؛ (الحبشيَّة الهرريَّة) (العدد ٢٨) ، رمضان ١٤١٥هـ - شباط ١٩٩٥ ، في (ص٦٢) : «وفي عام (١١٢٥هـ - ١٧١٣) وقع في شراك الجاسوس الإنجليزي (همفر) وأصبح آلة لمساعي الإنكليز لمحو الإسلام ، ونشر عبدالوهاب ما أملى عليه الجاسوس من الأكاذيب باسم (الوهابية)» . اهـ .

فسبحان من أعمى أبصارهم وبصائرهم . . . !!!

(٢) انظر : «عنوان المجد في تاريخ نجد» لعثمان بن بشر : (٢٩/١) .

معلومات عن هذه (المذكرات) ؛ من حيث النسخة الأصلية التي تُرجمَت عنها ، وهل هي مطبوعة أم مخطوطة؟! وبأيّ لغة؟!

ثامناً : المُترجِمُ نكرة ؛ ففي النسخة (أ) لم يُذكر عنه أيُّ شيء ، وفي النسخة (ب) رمز لنفسه بـ(د . م . ع . خ) !!

تاسعاً : كثرة الفروق بين (النسختين) (المترجمتين) ، وبعضها فروق جوهرية .

عاشراً : في النسخة (ب) تاريخ ترجمة هو : (٢٥ حزيران ١٩٩٠) ؛ فهل مثل هذه (الوثائق المهمَّة) تبقى حبيسة ، ولا ترى النُّور إلا بعد (١٩٩) عاماً من وفاة الشيخ - رحمه الله -؟!!

الحادي عشر : اتَّفقت (النسختان) على كتابة تاريخ (١٩٧٣/١/٢) في نهاية (المذكرات) ؛ وهذا التاريخ لا أدري ما هو : هل هو تاريخ كتابة هذه (المذكرات) من (همفر) - كما هو ظاهر - !!

- وهذا يؤكِّد كذب هذه المذكرات ؛ إذ إنَّ وفاة الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - قبل هذا التاريخ بـ (١٧٩) عاماً !! - .

أم هو تاريخ افتراء واختلاق هذه (المذكرات)؟!!

الثاني عشر : إنَّ ما في كُتب الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) كلَّه يُكذِّب ما ورد في هذه المذكرات ؛ كما سيأتي تفصيله - إن شاء الله - في الصفحات القادمة .

الثالث عشر : إنَّ واقع الشيخ - رحمه الله - وواقع دعوته ؛ ينفي ذلك كلَّه .

الرابع عشر : شهادة أعداء الشيخ - رحمه الله - ؛ من مسلمين وكفار تنفي عنه ما في هذه المذكرات ، وهذا أمر مستفيض ، ولو تتبعناه لطال بنا البحث .

■ **موقف (الإنجليز) من دعوة الإمام (محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله -:**

لمس الإنجليز آثار دعوة الشيخ - رحمه الله - السَّلفية ، في أعظم مكان يعتزُّون باستعماره والاستيلاء على خيراته ، عندما تلقَّفها الهنود على يد الدَّاعية الإسلامي (أحمد بن عرفان) ، الشهير (بأحمد باريلي) ، وأتباعه ، وفي حركات أُخرى مثل : (الفراتقيين وتيتومان) (نزار علي)[1] ، تلك الدَّعوات التي ناوأت (القاديانيَّة) الكافرة ؛ التي أرادها (الإنجليز) واجهة إسلامية تُحقّق مآربهم ، وينضوي تحتها من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه .

(١) انظر كتاب : «انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية» - لمحمد كمال جمعة - (ص٦٣ - ٨٧) .

ويظهر انزعاج (الإنجليز) وحرصهم على القضاء على دعوة الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - ؛ - التي تُمثّل يقظة جديدة في الدِّين الإسلامي ، ودعوة إلى فهمه من مصادره الصَّافية ؛ كتاب الله وسنَّة رسوله محمد ﷺ - ، أنَّهم بذلوا جهوداً وأموالاً في هذا السَّبيل .

وقد أبانت رحلة (سادلير) الضابط البريطاني ، وقائد الفوج (٤٧) ، ومبعوث (الحكومة البريطانية) في (الهند) ؛ الذي قام برحلة شاقَّة من (الهند) إلى أن وصل (الرياض) ، ووقف على أطلال (الدِّرعيَّة) ؛ التي هدمها (إبراهيم باشا) ، بناءً على تخطيط اشترك في الإعداد له (الإنجليز) ؛ ليطمئن على تفتيت (الحكومة الإسلاميَّة) التي تحرَّكت في (الجزيرة) لإيقاظ المسلمين ، ولِيقضي على قاعدة (الدَّعوة السَّلفيَّة) بنفسه ؛ لِما أحدثته من خوف وقلق في داخل (الحكومة الإنجليزيَّة) خوفاً على مصالحها ، وقد كان في (رحلته) هذه ضمن قافلة كبيرة أغلبها من الأتراك ، أبانت هذه (الرِّحلة) جانباً مهمَّاً في التعاطف والحرص على القضاء على هذه (الدَّعوة) ؛ التي تُمثّل يقظة إسلامية توحِّد المسلمين ، كما أبانت عن حقد (الإنجليز) على (الإسلام) ، ذلك الحقد المُخطّط له من (التَّبشير الكنسي) المُوجَّه بأفكار (المستشرقين) ودسائسهم .

فقد مرَّ (سادلير) (بالدِّرعية) متخفّياً في (١٣) أغسطس من عام (١٨١٩م)[١] ، وبعد أن ارتاحت نفسه ، شدَّ الرِّحال لاحقاً (بإبراهيم باشا) ، حتى أدركه في (آبار علي) ، على مقربة من (المدينة المنورة) ؛ ليُقدِّم له التَّهاني بهذا النَّصر[٢] ، مقرونة بهدايا (حكومة الهند الشرقيَّة = الحكومة البريطانية) .

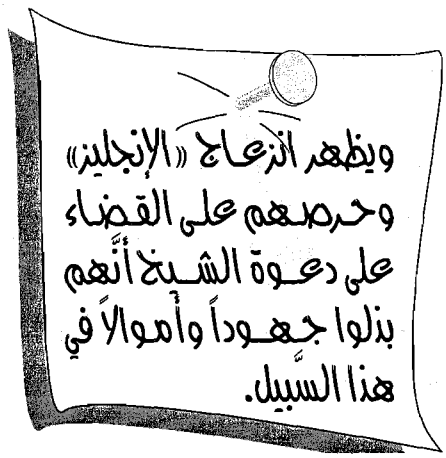

(١) انظر : «رحلة عبر الجزيرة العربيَّة» لسادلير : (ص٨٥ - ٨٧ وص٩٦ - ٩٩ وص١٠٥ - ١١٠ وص١٤٩ وص١٥٦ - ١٥٩) . ترجمة : أنس الرِّفاعي ، والناشر : سعود بن غانم العجمي .

(٢) انظر : «محمد بن عبدالوهاب ؛ مصلح مظلوم ومفترى عليه» لمسعود النَّدوي : (ص١٥٠ - ١٥٤) .

❖ الحلقة الثالثة

مجالات الإصلاح عند الشاطبي

● بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

كلام الشاطبي دقيق ، وقلمه - رحمه الله - يمشي سوياً ، ويكتب عربياً نقياً ، وقد تقرأ كثيراً له فلا تتعثر في شيء من التراكيب والمفردات ؛ ولكن يصعب عليك أن تبعثر كلامه للحاجة إلى الاستدلال على أنه يصلح في عديد من المجالات ؛ لأنك تنتقل في الفهم من الكلمة إلى جارتها ، ثم منها إلى التي تليها ، كأنك تمشي على أسنان المشط ؛ لأن تحت كل كلمة معنى يشير إليه ، وغرضاً يحول في سياقه عليه في الإصلاح ، فهو يكتب بعد حفظه كتاب الله - تعالى - ، وأخذه نصيباً من السنة النبويّة ، وأصول المتقدمين ، وكلام المفسرين ، وفروع المجتهدين ، ومباحث المتكلّمين والمتصوفين ، ويعلم ما عليه أهل زمانه من البدع والمخالفات ، ويستحضر قوة المألوف وما يلاقي المصلحون من ابتلاءات ، زد إلى هذا قلة المعاون والنصير .

ونقسّم مجالات الإصلاح التي ركز عليها الشاطبي إلى :

* الإصلاح الخُلُقيّ .
* الإصلاح التربوي .
* الإصلاح السياسي .

ولنفرد كل مجال من هذه المجالات بكلمة :

❖ الإصلاح الخلقي

ركز الشاطبي على مبادئ كلية ، وقواعد عامة ، تترتب عليها نظريته في الإصلاح الخلقي ، ويمكن إجمال ذلك في الأمور الآتية :

أولاً: أصل كل الأدواء الأهواء:

يقرر الشاطبي هذه القاعدة بناءً على الاستقراء ، فاسمع إليه وهو يقول : «ما عُلم بالتجارِب والعادات من أنّ المصالح الدينية والدنيوية لا تحصل مع الاسترسال في اتباع الهوى ، والمشي مع الأغراض بما يلزم في ذلك

من التهارج والتقاتل ، والهلاك الذي هو مضاد لتلك المصالح»[1] .

يتفق الشاطبي في كلامه مع أحدث الآراء الفلسفية التي تُرجع انهيار الحضارات إلى الأهواء الجامحة ، كما تراه - مثلاً - في كتاب «منبعا الأخلاق والدين»[2] لبرقسون ، وسبقه إلى هذا ابن القيم ، قال في «إعلام الموقعين» : «**وكل من له مُسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا وفسد أمرها أتمَّ الفساد**»[3] .

ويذهب الشاطبي إلى أن «المقصد الشرعي من وضع الشريعة : إخراج المكلف عن داعية هواه ، حتى يكون عبداً لله اختياراً ، كما هو عبدٌ لله اضطراراً»[4] وبالتالي ؛ فإن أصل الشر الانقياد إلى الهوى ؛ وهو سبب إيعاد الله بالعذاب العاجل من العقوبات الخاصة بكل صنف من أصناف المخالفات ، والعذاب الآجل في الدار الآخرة ، قال :

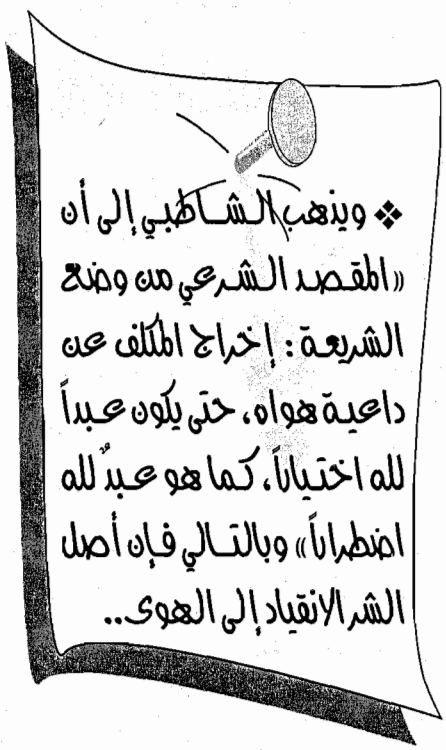

«وأصل ذلك اتباع الهوى ، والانقياد إلى طاعة الأغراض العاجلة ، والشهوات الزائلة ، لقد جعل الله اتباع الهوى مضاداً للحقّ ، وعدّه قسيماً له»[5] ؛ وأخذ يبرهن على ذلك بسرد جملة من الآيات والآثار .

ولم ينسَ الشاطبيُّ ربط الهوى بالبدعة ،

(١) «الموافقات» (٢/٢٩٢ - بتحقيقي) .

(٢) انظره (ص٢٧٧) .

(٣) «إعلام الموقعين» (١/٧٢) .

(٤) «الموافقات» (٢/٢٨٩ - بتحقيقي) .

(٥) «الموافقات» (٢/٢٩٠ - بتحقيقي) .

فجعل هذا أصلاً ، ودندن عليه كثيراً ، ومما قال : «فالمبتدع من هذه الأمة إنما ضل في أدلتها حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة ، لا مأخذ الانقياد تحت أحكام الله» ، قال : «وهذا هو الفرق بين المبتدع وغيره ، لأن المبتدع جعل الهوى أول مطالبه ، وأخذ الأدلة بالتبع»[1] ، وجعل ذلك قاعدة مطردة ، قال : «والدليل على ذلك أنك لا تجد مبتدعاً ممن ينسب إلى الملة إلا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعي ، فينزّله على ما وافق عقله وشهوته ، وهو أمر ثابت في الحكمة الأزلية التي لا مردّ لها»[2] .

ثانياً: مجالات الأهواء: نظرية وعملية:

نلمح مما سبق أن الأهواء أصل الشرور ، سواء كانت تصورية ؛ فإنها تدخل تحت النظر ، وتندرج فيه مذاهب أهل البدع بتأويل وأكاذيب أفسدت عقيدة المسلمين ، وتدخل أيضاً تحت العمل فتظهر في عبادات المسلمين وتفسد عليهم أعمالهم .

ولذا ؛ فمن الأسباب الكفيلة بردّ المسلم إلى أخلاقه الأصيلة :

ثالثاً: التحكم في هواه، وأخذ نصيبه من اللذة بمقتضى الامتثال:

قرر الشاطبي «أن مخالفة ما تهوى الأنفس شاق عليها ، وصعب خروجها عنه ؛ ولذلك بلغ أهلُ الهوى في مساعدته مبالغَ لا يبلغها غيرهم» ، قال : «وكفى شاهداً على ذلك حال المحبين ، وحال من بعث إليهم رسول الله ﷺ من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم ممن صمم على ما هو عليه ، حتى رضوا بإهلاك النفوس والأموال ولم يرضوا بمخالفة الهوى»[3] .

وعلى هذا ؛ فهو يقول : «لكن الشارع إنما قصد بوضع الشريعة إخراج المكلف عن اتباع هواه ، حتى يكون عبداً لله ، فإذاً ؛ مخالفة الهوى ليست من المشقات المعتبرة في التكليف ، وإن كانت شاقة في مجاري العادات»[4] .

ويرى الشاطبي أن أساس التحكم في الأهواء هو قمع الشهوات المفرطة ، وينبغي على المكلف أن يستجيب لها في حدود ما أباح الشرع له ، وأن يكون ذلك بمقتضى الامتثال ، وحينئذ يكون : «من نتائج عمله الالتذاذ بما هو فيه ، والنعيم بما يجتنيه من

(١) «الاعتصام» (١/٢٣١) .

(٢) «الاعتصام» (١/٢٣٢) .

(٣) «الموافقات» (٢/٢٦٤ - بتحقيقي) .

(٤) «الموافقات» (٢/٢٦٤ - بتحقيقي) .

ثمرات الفهوم ، وانفتاح مغاليق العلوم ، وربما أُكرم ببعض الكرامات ، أو وُضع له القَبُول في الأرض ، فانحاش الناس إليه ، وحلّقوا عليه ، وانتفعوا به ، وأمُّوه لأغراضهم المتعلّقة بدنياهم وأُخراهم»[1] ، وفي هذه الحالة يجتمع خيرا الدنيا والآخرة ، فيأخذ المكلف هواه على وجه التبع للحكم الشرعي ؛ ليكون «وسيلة إلى ما أراده من عمارة الدنيا للآخرة ، وجعل الاكتساب لهذه الحظوظ مباحاً لا ممنوعاً ، لكن على قوانين شرعية ، هي أبلغ في المصلحة ، وأجرى على الدوام مما يعدّه مصلحة»[2] .

رابعاً: أن يعلم أن مصلحته في الدنيا والآخرة في الشريعة ، وأن كل مصلحة تظهر له مخالفةً للشرع ؛ إنما هي موهومة ، وليست بحقيقية ؛ ذلك «إن المصالح التي تقوم بها أحوال العبد لا يعرفها حقَّ معرفتها إلا خالقها وواضعها ، وليس للعبد بها علم إلا من بعض الوجوه ، والذي يخفى عليه منها أكثرُ من الذي يبدو له ؛ فقد يكون ساعياً في مصلحة نفسه من وجه لا يوصله إليها ، أو يوصله إليها عاجلاً لا آجلاً ، أو يوصله إليها ناقصة لا كاملة ، أو يكون فيها مفسدة تُربي في الموازنة على المصلحة ؛ فلا يقوم خيرُها بشرِّها ، وكم مدبِّرٍ أمراً لا يتم له على كماله أصلاً ، ولا يجني منه ثمرة أصلاً ، وهو معلوم مشاهد بين العقلاء ؛ فلهذا بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، فإذا كان كذلك ؛ فالرجوع إلى الوجه الذي وضعه الشارع رجوع إلى وجه حصول المصلحة ، والتخفيف على الكمال ، بخلاف الرجوع إلى ما خالفه»[3] .

ومن الأمور التي ينبغي أن لا تُهْمَلَ بهذا الصدد:

خامساً : أن فهم مقاصد الشرع الأصلية يصيِّر تصرفات المكلف كلها عبادات - سواءً كانت من قبيل العبادات أو العادات - وأن أعماله - حينئذٍ - تكون مبنيّة على أصل : يعمل من حيث طلب العمل ، ويترك إذا ترك من الترك ، قال الشاطبي : «فهو أبداً في إعانة الخلق على ما هم عليه من إقامة المصالح ؛ باليد ، واللسان ، والقلب : وأما باللسان ؛ فبالوعظ والتذكير بالله أن يكونوا فيما هم عليه مطيعين لا عاصين ، وتعليم ما يحتاجون إليه في ذلك من إصلاح المقاصد والأعمال ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالدعاء بالإحسان لمحسنهم والتجاوز عن مسيئهم ،

(١) «الموافقات» (٢/٢٩٨ - بتحقيقي) .

(٢) «الموافقات» (٢/٣٠٣ - بتحقيقي) .

(٣) «الموافقات» (١/٥٣٧ - بتحقيقي) .

قرر الشاطبي «أن مخالفة ما تهوى الأنفس شاق عليها، وصعب خروجها عنه، ولذلك بلغ أهل الهوى في مساعدته مبالغ لا يبلغها غيرهم»، قال: «وكفى شاهداً على ذلك حال المحبين، وحال من بعث إليهم رسول الله ﷺ من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم ممن صمم على ما هو عليه، حتى رضوا بإهلاك النفوس والأموال ولم يرضوا بمخالفة الهوى».

وبالقلب لا يُضمر لهم شراً؛ بل يعتقد لهم الخير، ويعرّفهم بأحسن الأوصاف التي اتصفوا بها ولو بمجرد الإسلام، ويعظّمهم ويحتقر نفسه بالنسبة إليهم، إلى غير ذلك من الأمور القلبية المتعلقة بالعباد»[1]؛ بل يذهب المصنف إلى أبعد من ذلك، فيقول: «بل لا يقتصر في هذا على جنس الإنسان؛ ولكن تدخل عليه الشفقة على الحيوانات كلها، حتى لا يعاملها إلا بالتي هي أحسن»[2].

«فالإحسان اللازم - الذي جعله الشارع ميداناً فسيحاً، يتسابق فيه أهل الهمم السائرة إلى الدار الآخرة - خلق أصيل للمسلم، يتواءم مع المقصد الأصلي الشرعي، فهو ليس نزوة يفعله المكلف لما يوافق الشهوة، أو يقع منه فلتة، وإنما يفعله امتثالاً لأمر ربه، واقتداء بنبيه - عليه الصلاة والسلام -، فكيف لا تكون تصاريف مَن هذه سبيلُهُ عبادة كلها؟! بخلاف من كان عاملاً على حظه؛ فإنه إنما يلتفت إلى حظه، أو ما كان طريقاً إلى حظه»[3].

❖ الإصلاح التربوي

للشاطبي - رحمه الله - لفتات عميقة فيما يخص العملية التربوية بأركانها الأربعة: المعلم، الطالب، والمادة العلمية، والطريق التي يُوصِل بها المعلم المادة إلى الطالب، ونخص كل ركن بكلمة موجزة، فنقول:

(١) «الموافقات» (٢/٣٣٧ - ٣٣٨ - بتحقيقي).

(٢) «الموافقات» (٢/٣٣٨ - بتحقيقي).

(٣) «الموافقات» (٢/٣٣٩ - بتحقيقي).

أولاً : المعلم : اعتنى الشاطبي بـ(العلماء) عناية بالغة وقرر أنه «من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقُّق به أَخذُه عن أهل المتحققين به على الكمال والتمام .

وذلك أنَّ الله خلق الإنسان لا يعلم شيئاً ، ثم علَّمه وبصَّره ، وهداه طرق مصلحته في الحياة الدُّنيا ؛ غير أن ما علمه من ذلك على ضربين :

ضربٌ منها ضروري ، داخل عليه من غير علم من أين ولا كيف ؛ بل هو مغروزٌ فيه من أصل الخِلْقة ؛ كالتقامه الثديَ ومصِّه له عند خروجه من البطن إلى الدنيا - هذا من المحسوسات - ، وكعلمه بوجوده ، وأنَّ النقيضين لا يجتمعان من جُملة المعقولات .

وضربٌ منها بوساطة التعليم ، شعر بذلك أو لا ؛ كوجوه التصرفات الضرورية ، نحو محاكاة الأصوات ، والنُّطق بالكلمات ، ومعرفة أسماء الأشياء - في المحسوسات - ، وكالعلوم النظريَّة التي للعقل في تحصيلها مجال ونظر في المعقولات .

وكلامنا من ذلك فيما يفتقر إلى نظر وتبصر ؛ فلا بد من معلم فيها ، وإن كان الناس قد اختلفوا : هل يمكن حصول العلم دون معلم أم لا؟ فالإمكان مسلَّم ؛ ولكنَّ الواقع في مجاري العادات أن لا بدَّ من المعلم ، وهو متفق عليه في الجملة ، وإن اختلفوا في بعض التفاصيل ؛ كاختلاف جمهور الأمة والإمامية - وهم الذين يشترطون المعصوم - ، والحقُّ مع السَّواد الأعظم الذي لا يشترط العصمة ، من جهة أنها مختصة بالأنبياء - عليهم السلام - ، ومع ذلك ؛ فهم مُقرُّون بافتقار الجاهل إلى المعلم ، علماً كان المعلم أو عملاً ، واتفاقُ الناس على ذلك في الوقوع ، وجريان العادة به كافٍ في أنه لا بدَّ منه ، وقد قالوا : «**إن العلم كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، وصارت مفاتحه بأيدي الرجال**».

وهذا الكلام يقضي بأن لا بدَّ في تحصيله من الرجال ؛ إذ ليس وراء هاتين المرتبتين مرمى عندهم ، وأصلُ هذا في الصحيح : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبضه بقبض العلماء . . .» الحديث ، فإذا كان كذلك ؛ فالرجال هم مفاتحه بلا شك .

فإذا تقرر هذا ؛ فلا يؤخذ إلا ممن تحقَّق به ، وهذا - أيضاً - واضحٌ في نفسه ، وهو - أيضاً - متفق عليه بين العقلاء ؛ إذ من شروطهم في العالم - بأي علم اتفق - ؛ أن يكون عارفاً بأصوله وما ينبني عليه ذلك العلم ، قادراً على التعبير عن مقصوده فيه ، عارفاً بما يلزم عنه ، قائماً على دفع الشُّبه الواردة عليه فيه ، فإذا نظرنا إلى ما اشترطوه ،

وعرضنا أئمة السلف الصالح في العلوم الشرعية ، وجدناهم قد اتصفوا بها على الكمال»[1] .

علامات المعلم الحق:

للعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات ، قال الشاطبي : «وهي ثلاث : **إحداها** : العمل بما علم ، حتى يكون قوله مطابقاً لفعله ، فإن كان مخالفاً له ؛ فليس بأهل لأن يؤخذ عنه ، ولا أن يقتدى به في علم[2] .

والثانية : أنْ يكون ممن ربّاه الشيوخ في ذلك العلم ؛ لأخذه عنهم ، وملازمته لهم ؛ فهو الجدير بأن يتصف بما اتصفوا به من ذلك ، وهكذا كان شأن السلف الصالح .

فأولُ ذلك ملازمة الصحابة - رضي الله عنهم - لرسول الله ﷺ ، وأخذهم بأقواله وأفعاله ، واعتمادهم على ما يرد منه ، كائناً ما كان ، وعلى أيِّ وجهٍ صدر ؛ فهم فهموا مغزى ما أراد به أولاً حتى علموا وتيقَّنوا أنه الحقُّ الذي لا يُعارَض ، والحكمةُ التي لا ينكسر قانونها ، ولا يحومُ النقصُ حول حمى كمالها ، وإنما ذلك بكثرة الملازمة ، وشدة المثابرة»[3] .

وقرر أن الصحابة - رضي الله عنهم - رباهم النبي ﷺ : «وصار مثل ذلك أصلاً لمن بعدهم ؛ فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي ﷺ حتى فقهوا ، ونالوا ذِرْوَةَ الكمال في العلوم الشرعية ، وحسبك من صحة هذه القاعدة أنك لا تجدُ عالماً اشتهر في الناس الأخذ عنه إلا وله قدوة ، واشتهر في قرنه بمثل ذلك ، وقلما وُجدت فرقة زائغة ، ولا أحدٌ مخالفٌ للسنة إلا وهو مفارق لهذا الوصف ، وبهذا الوجه وقع التشنيعُ على ابن حزم الظاهري ، وأنه لم يلازم الأخذ عن الشيوخ ، ولا تأدب بآدابهم ، وبضد ذلك كان العلماءُ الراسخون كالأئمة الأربعة وأشباههم .

والثالثة : الاقتداءُ بمن أخذ عنه ، والتأدبُ بأدبه ، كما علمت من اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ ، واقتداء التابعين بالصحابة ، وهكذا في كل قرنٍ ، وبهذا الوصف امتاز مالكٌ عن أضرابه - أعني : بشدة الاتصاف به - ، وإلا ؛ فالجميع ممن يُهتدى به في الدين ، كذلك كانوا ؛ ولكن مالكاً اشتهر بالمبالغة في هذا المعنى ، فلما تُرك هذا الوصفُ ؛ رفعت البدع رؤوسها ؛ لأن ترك الاقتداء دليلٌ على أمرٍ حدث عند التارك ،

---

(١) «الموافقات» (١/١٣٩ - ١٤٠ - بتحقيقي) .

(٢) انظر تفصيل ذلك في «الموافقات» (٥/٢٦٢ - بتحقيقي) .

(٣) «الموافقات» (١/١٤١ - ١٤٢ - بتحقيقي) .

(٤) «الموافقات» (١/١٤٤ - ١٤٥ - بتحقيقي) .

أصلهُ اتباعُ الهوى»[٤] .

❖ **كيف يؤخذ العلم عن المعلم؟**

يجيبنا الشاطبي عن هذا السؤال بقوله :

«وإذا ثبت أنه لا بد من أخذ العلم عن أهله ؛ فلذلك طريقان :

أحدهما : المشافهة ، وهي أنفعُ الطريقين وأسلمهما ؛ لوجهين[١] :

الأول : خاصيَّة جعلها الله - تعالى - بين المعلم والمتعلم ، يشهدها كلُّ من زاول العلم والعلماء ؛ فكم من مسألة يقرؤها المتعلِّم في كتاب ، ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها ، فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها بغتةً ، وحصل له العلمُ بها بالحضرةِ ! وهذا الفهم يحصلُ إما بأمر عادي من قرائن أحوال ، وإيضاح موضع إشكالٍ لم يخطر للمتعلِّم ببال ، وقد يحصل بأمرٍ غير معتاد ، ولكن بأمر يهبه الله للمتعلِّم عند مُثوله بين يدي المعلِّم ، ظاهر الفقر بادي الحاجة إلى ما يُلقى إليه .

وهذا ليس يُنكر ؛ فقد نبَّه عليه الحديثُ الذي جاء : «إنَّ الصحابة أنكروا أنفسهم عندما مات رسول الله ﷺ»[٢] ، وحديثُ حنظلة الأُسيدي ؛ حين شكا إلى رسول الله ﷺ أنهم إذا كانوا عنده في مجلسه كانوا على حالة يرضونها ، فإذا فارقوا مجلسه زال ذلك عنهم ؛ فقال رسول الله ﷺ : «لو أنكم تكونون كما تكونون عندي ؛ لأظلتكم الملائكة بأجنحتها»[٣] .

وقد قال عمر بن الخطاب : «وافقت ربي في ثلاث»[٤] ، وهي من فوائد مجالسة العلماء ؛ إذ يُفتح للمتعلم بين أيديهم ما لا يُفتح له دونهم ، ويبقى ذلك النورُ لهم بمقدار ما بقُوا في متابعة معلِّمهم ، وتأدبهم معه ، واقتدائهم به ؛ فهذا الطريقُ نافعٌ على كل تقدير .

وقد كان المتقدمون لا يكتبُ منهم إلا القليلُ ، وكانوا يكرهون ذلك ، وقد كرهه مالك ؛ فقيل له : فما نصنع؟ قال : تحفظون وتفهمون حتى تستنير قلوبكم ، ثم لا تحتاجون إلى الكتابة ، وحكي عن عمر بن الخطاب كراهية الكتابة ، وإنما ترخَّص الناسُ في ذلك عندما حدث النسيانُ ، وخِيف على الشريعة الاندراسُ .

الطريق الثاني : مطالعةُ كتب المصنفين ومدوِّني الدواوين ، وهو - أيضاً - نافعٌ في

---

(١) لم يذكر في كلامه الآتي إلا وجها واحداً ، فتأمل !

(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٢) بنحوه عن عمه ، والمذكور بلفظه عند ابن عبدالبر في «الجامع» (رقم ٢٣٨٧) عن أبي سعيد الخدري ، وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٥٠) بنحوه ، والمذكور لفظ الترمذي (٢٤٥٢) .

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٢ ، ٤٤٨٣ ، ٤٧٩٠ ، ٤٩١٦) ومسلم (٢٣٩٩) .

بابه بشرطين :

الأول : أنْ يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب ، ومعرفة اصطلاحات أهله ؛ ما يتمُّ له به النظرُ في الكتب ، وذلك يحصلُ بالطريق الأول ، ومن مشافهة العلماء ، أو مما هو راجع إليه ، وهو معنى قول من قال : «كان العلم في صدور الرجال ، ثم انتقل إلى الكتب ، ومفاتحهُ بأيدي الرجال» ، **والكتب وحدها لا تفيد الطالب منها شيئاً، دون فتح العلماء، وهو مشاهد معتاد.**

والشرط الآخر : أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم المراد ؛ فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين ، وأصل ذلك التجربةُ والخبر :

أما التجربة ؛ فهو أمرٌ مشاهدٌ في أيِّ علم كان ، فالمتأخِّر لا يبلغُ من الرُّسوخ في علم ما يبلغه المتقدم ، وحسبك دنياهم ودينهم ، على خلاف أعمال المتأخرين ، وعلومهم في التحقيق أقعد ، فتحقُّق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتحقُّق التابعين ، والتابعون ليسوا كتابعيهم ، وهكذا إلى الآن ، ومن طالع سيرهم ، وأقوالهم ، وحكاياتِهم ، أبصر العجب في هذا المعنى .

وأما الخبر ؛ ففي الحديث : «خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم»[1] ، وفي هذا إشارة إلى أن كل قرن مع ما بعده كذلك»[2] .

وفي الكلام السابق إشارة إلى أهمية الكتاب ولا سيما للعلماء ومن رسخت قدمه من الطلبة النبهاء ، وأنه ينبغي أن يُعتنى بكتب العلماء الأقدمين ؛ فإنه وسيلة أصيلة من وسائل التعليم ، وذِكره الأقدمين لأصالتهم ورسوخهم وصدقهم .

❖ نقده للعلم والعلماء:

هذا هو البرنامج النظري المثالي عند الشاطبي للعالم المحق ، وعلامات وطريقة أخذ العلم عنه ، وسبب هذا التأصيل ما رآه - رحمه الله - من انحطاط الحياة العقلية والعلمية في زمانه ، والمتمعّن في كتابه «الاعتصام» يستخلص ما وقع فيه العلماء آنذاك من الجمود على مسائل ألِفوا آباءهم عليها ، وأنه مات فيهم روح التجديد ، وعكفوا على كتب محدودة تحصيلاً وتدريساً ، ونستطيع أن نستخلص نقدات الشاطبي للعلم والعلماء في عصره في الأمور التالية :

أولاً: إن العلم الذي يتباهى به العلماء ما هو - في نظره - إلا جمع للأقوال ، وحفظ للمختصرات ، وتباهٍ بكثرة النقولات .

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥١) ومسلم (٢٥٣٣) عن ابن مسعود ؛ بلفظ : «خير الناس» .

(٢) «الموافقات» (١/١٤٥٥ - ١٤٧ - بتحقيقي) .

ثانياً : أكثر مسائل علومهم ظنية ، ومن هنا باتت مثاراً للجدل ، والبحث غير المنتج ، لأنها افتقدت أهم شرط في العلم وهو اليقين ؛ ولذلك كلما ظهر أحدهم برأي ، تصدى له من يردُّ عليه ، وينقض قوله .

ثالثاً : لم تكن لتلك العلوم طرقٌ صحيحة مُتَّبَعة ، وإنما أكثرها ناتجة عن اجتهادات خاصة ، غير محققة ، أو عَرْض لمذاهب سابقة يراد من المتعلم استظهارها دون أن يكون له قول فيها .

رابعاً : شاعت في تلك العلوم المصطلحات اللفظية التي لا تدل على شيء صحيح ذي بال ، وإنما تدل في عمومها على التكلف ، وأحياناً تكون جوفاء لا تدل على شيء ، فأصبح الناس يطلبون قشور العلم لا لبه ، حُبّاً في التباهي بالألفاظ الفخمة .

خامساً : ومع ذلك فإن تلك العلوم أصبحت غايات عند أهلها ، يرفعونها عن غيرها بالرغم من ضحالة نفعها ، ونتيجةً لهذا الصَّلَف شاع بين أشياع تلك العلوم مرض التعصب ، والمفاخرة الكاذبة ، فكانوا في علاقاتهم كالعامة ، يحتكمون إلى الأهواء ، وتنتشر بينهم العداوة لأتفه الأسباب ، ويسلخ بعضهم بعضاً بألسنة حداد .

ويا ليت الأمر اقتصر في الشر والفساد إلى هذا الحد ! بل تعداه إلى ما هو شر منه ، قال - معقداً مؤصلاً ، ومن خلال مباحث الكتاب والكلام على بعض مفردات البدع تجد أنه يشير به إلى الواقع في زمانه - ما نصه :

«فاعلموا أن الاختلاف في بعض القواعد الكلية لا يقع في العادة الجارية بين المتبحرين في علم الشريعة ؛ الخائضين في لجتها العظمى ، العالمين بمواردها ومصادرها ، والدليل على ذلك اتفاق العصر الأول وعامة العصر الثاني على ذلك ، وإنما وقع اختلافهم في القسم المفروغ منه - آنفاً - .

بل كل خلاف على الوصف المذكور وقع بعد ذلك ؛ فله أسباب . . .» ، وذكر منها :

«أن يعتقد الإنسان في نفسه أو يُعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين - ولم يبلغ تلك الدرجة - ، فيعمل على ذلك ، ويعد رأيه رأياً ، وخلافه خلافاً :

ولكن تارة يكون ذلك في جزئيٍّ وفرع من الفروع ، وتارة يكون في كليٍّ وأصل من أصول الدين - كان من الأصول الاعتقادية أو من الأصول العملية - ، فتراه آخذاً ببعض جزئيات الشريعة في هدم كلياتها ، حتى يصير منها إلى ما ظهر له بادي رأيه ، من غير إحاطة بمعانيها ، ولا رسوخ في فهم مقاصدها ، وهذا هو المبتدع»[1] .

واعتنى الشاطبي عناية فائقة بالتحذير من زلات العلماء ، لما لهم من أهمية في الإصلاح ، وقرر أنهم غير معصومين ، ويلحقهم الابتداع في الدين ، ولكن يقول ذلك من لم يتبحّر منهم - بعد - في العلم فلتةً ، ووصف المبتدعة بأنهم لا يجالسون العلماء ، فقال :

«أن أرباب البدع العملية أكثرهم لا يحبون أن يناظروا أحداً، لا يفاتحون عالماً ولا غيره فيما يتبعونَ؛ خوفاً من الفضيحة أن لا يجدوا مستنداً شرعياً، وإنما شأنهم إذا وجدوا عالماً أو لقوه أن يصانعوا، وإذا وجدوا جاهلاً عامياً؛ ألقوا عليه في الشريعة الطاهرة إشكالات، حتى يزلزلوهم ويخلّطوا عليهم، ويلبسوا دينهم، فإذا عرفوا منهم الحَيْرَةَ والالتباس؛ ألقوا إليهم من بدعهم على التدريج شيئاً فشيئاً ، وذموا أهل العلم وخاصته ، وربما أوردوا عليهم من كلام غلاة الصوفية شواهد على ما يلقون إليهم ، حتى يهووا بهم في نار جهنم ، وأما أن يأتوا الأمر من بابه ، ويناظروا عليه العلماء الراسخين ؛ فلا»[2] .

وهذا بخلاف مع ما قررناه من أن العلماء هم الأدلاء ، وأن العبرة بعلم العلماء وأدلتهم وحججهم لا شخوصهم .

(١) «الاعتصام» (١٢٨/٣) .

(١) «الاعتصام» (٩٢/٣ - ٩٣) .

«مَن ترك شيئاً للّه: عوّضه اللّهُ خيراً منه»

● بقلم: الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثريّ

ذكر شيخُ شيوخِنا العلامة المؤرخ الشيخ محمد راغب الطبّاخ - رحمة الله عليه - في كتابه «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» (٢٣١/٧) :

«أنّ الشيخ إبراهيم الهلاليّ الحلبي - العالم الصالح الجليل - ذهب إلى الجامع الأزهر يطلبُ العلمَ ، وأثناء طلبه للعلم أمْلَقَ وافتقر إلى النفقة ، ومضى عليه أكثرُ من يوم وهو لا يجد ما يأكل ، وجاع جوعاً شديداً . . .

فخرج من غرفته - في الأزهر - ليسأل اللقمة والطعام ؛ فشاهد باباً مفتوحاً ! وشمّ منه رائحةَ الطعام الزكيّة !! فدخل البابَ إلى المطبخ ، فلم يجد أحداً ! ووجد طعاماً شهياً ، فأخذ الملعقة ، وغَمَسها فيها !! ثم لمّا رفعها إلى فمه انقبضت نفسهُ عن تناولها !! إذ لم يُؤْذَنْ له بتناولها ! فتركها ، وخرج بجوعه وسغَبَه إلى غرفته في رِواق الأزهر .

ولم تمضِ عليه نحوُ ساعةٍ إلا وأحدُ شيوخه - ومعه رجلٌ - يدخلان عليه غرفته ، ويقول له الشيخ : هذا الرجل الفاضل ؛ جاءني يريد طالبَ عالم صالحاً ، أختارُه لابنته زوجاً ؛ وقد اخترتك له ، فقُم بنا إلى بيته ؛ ليتمّ العقدُ بينكما ، وتكونَ من أهل بيته ، فتحاملَ الشيخُ إبراهيم على نفسه ؛ مُمْتَثِلاً أمرَ شيخه ، وقام معهما ، وإذا هما يذهبان به إلى البيت الذي دخله ، وغمس الملعقةَ في طعامه !!

ولّما جلس : عَقَدَ له والدُها عليها ، وبادَرَ الطعامَ ، فكان الطعام الذي غمسَ الملعقةَ فيه ، ثم تركها ، فأكل منه - قائلاً في نفسه - : امتنعتُ عنه بغير إذن فأطعمَنيه الله بإذن - مكرّماً ، مُعَزّزاً ، زوجاً - .

. . . ثم قَـدمَتْ مـعـه تلك المرأةُ الصـالحـةُ إلى حَلَبَ - بعـد انتـهـائه من التحصيل - ، وكانت أمَّ أبنائه الصالحين» .

. . . فهذه ثمرة الصبر ، وهذه نتيجة التقوى ﴿ومَن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزُقْه من حيث لا يحتسب﴾ . . .

أمّا المُستعجلون، الذين لا يُمَيِّزون بين الحق والباطل - طلباً لِحُطامٍ من الدنيا زائلٍ ! -: فلن يجدوا إلا غمّةً في الحَلْق، وحَسَرَةً في القلب؛ لأنّهم لن ينالوا دُنيا، ولن يُحصّلوا ديناً . . .

لأنّهم نَسَوْا - وتناسوا - قول ربِّ العالمين : ﴿أليس اللهُ بكافٍ عبده﴾ .

أمّـا الصـابرون ، الثـابتـون ، المتـقـون ؛ فسينالون عُلُوّاً في الدنيا ، وعِزّاً عند ربِّهم - يوم القيامةِ - .

واللهُ - تعـالى - يقـول : ﴿فـبـشِّـر الصابرين﴾ . .

ويقول : ﴿إنّما يُوفَّى الصابرون أجرَهم بغير حساب﴾ . .

ويقـول : ﴿ولئن صـبـرتم لهـو خـيـرٌ للصابرين﴾ . .

ويقول : ﴿ . . . إلا الذين آمنوا وعملوا الصـالحـات . وتواصـوا بالحقِّ وتواصـوا بالصبر﴾ .

. . بنفسٍ مطمئنة ، وبقلبٍ مُخبِت ، وبإيمان راسخٍ ، وبيـقينٍ ثابتٍ ، وبتـقـوى صادقة :

﴿ومن يتّق الله يجـعل له من أمـره يُسراً﴾ . .

﴿ومَن يتّق الله يكفّـر عنه سـيـئـاته ويُعظِم له أجراً﴾ . .

قال عون بن عبدالله :

«ما أحسب أحداً تفرّغ لعيب الناس إلا مِن غفلةٍ غَفَلَها عن نفسه».

«صفة الصفوة» (١٠١/٣)

شروط الجهاد في سبيل الله

● بقلم: الشيخ عثمان بن معلّم الصومالي

الشرط الأول للجهاد: هو وجود إمام للمسلمين.

ومن الأدلة على ذلك :

١ - قوله ﷺ - في حديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة - : «إنما الإمام جُنَّة ، يقاتل من ورائه ويتقى به ، فإن أمر بتقوى الله - عز وجل - وعدل ، كان له بذلك أجر . . .» ، الحديث[١] .

وجه الدلالة أن «إنما» تفيد الحصر ؛ فكأنه قصر مهام الإمام في كونه ستراً ؛ قال النووي : «أي : كالستر ؛ لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين»[٢] ، فالوقاية من أذية العدو منتفية إن لم يكن لنا إمام شرعي .

والجملة الفعلية «يقاتل من ورائه» صفة للجُنَّة فهي داخلة في الحصر ؛ فكأنه قال : لا قتال إلا من وراء إمام .

قال النووي : «ومعنى : يقاتل من ورائه ، أي : يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد والظلم مطلقاً»[٣] .

٢ - ومن الأدلة أيضاً ما أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال يوم الفتح : «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا» .

وجه الدلالة من الحديث أن الأمة تنفر

(١) «صحيح البخاري» (١١٦/٦) «كتاب الجهاد - باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به» ، و«صحيح مسلم» (١٤٧١/٣) كتاب «الإمارة - باب الإمام جنة . . .» .

(٢) انظر «شرح النووي» على مسلم (٢٣٠/١١) .

(٣) المصدر السابق .

بعد أن يستنفرها الإمام ، فإذا لم يكن هناك إمام شرعي ؛ فلا استنفار ، ومن ثم فلا يكون نفيرٌ .

قال ابن حجر - في تعداد فوائد الحديث - : «وفيه وجوب تعيّن الخروج على من عيّنه الإمام» ، قال ابن تيمية : «الإمام لو عيّن أهل» الجهاد للجهاد تعيّن عليهم ، كما قال النبي ﷺ : «واذا استنفرتم فانفروا» : أخرجاه في «الصحيحين»[1] .

٣ - وفي حديث حذيفة أن النبي ﷺ لما ذكر الدعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، ثم ذكر وصفهم ؛ قال له حذيفة : فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال : «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» ، فقلت : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال : «فاعتزل تلك الفرق كلها» .

ومن صور الاعتزال ترك القتال في مثل تلك الحال ؛ بحيث لا إمام ، فلو كان القتال جائزاً بدون إمام لقال له : قاتل تلك الفرق حتى يستقيموا على أمر الله .

واعتبار هذا الشرط هو عمل النبي ﷺ وصحابته من بعده .

يقول النبي ﷺ : «من أطاع أميري ؛ فقد أطاعني» .

قال ابن حجر : «ومحل إطاعة الأمير إذا كان مُعَيَّناً من قبل الإمام» .

وروى اللالكائي عن الإمام أحمد أنه قال : «أصول السُّنَّة عندنا : التّمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم ، وترك البدع - إلى أن قال - : «وقتال اللصوص والخوارج جائز إذا عرضوا للرجل نفسه وماله ، فله أن يقاتل عن نفسه وماله ، ويدفع عنها بكل ما يقدر عليه ، وليس له إذا فارقوه أو تركوه أن يطلبهم ولا يتبع آثارهم ، ليس لأحد إلا للإمام أو ولاة المسلمين ؛ إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك ، وينوي بجهده ألا يقتل أحداً . . . وجميع الآثار في هذا إنما أمر بقتاله ولم يؤمر بقتله ، ولا اتباعه ولا يجهز عليه إن صرع أو كان جريحاً وإن أخذه أسيراً ؛ فليس له أن يقتله ولا يقيم عليه الحد ؛ ولكن يرفع أمره إلى من ولاه الله فيحكم فيه»[2] .

ونحوه عن علي بن المديني[3] .

ونقل اللالَكائي عن ابن أبي حاتم أنه قال : سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل

(١) «مجموع الفتاوى» (٨٧/٢٨) .

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٥٦/١ - ١٧٨) .

(٣) المصدر السابق (١٦٨/١ - ١٦٩) .

❖ «وإقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور، وذلك بالعقوبة على ترك الواجبات وفعل المحرمات، فمنها عقوبات مقدرة مثل جلد المفتري ثمانين، وقطع السارق، ومنها عقوبات غير مقدرة قد تسمى التعزير؛ وتختلف مقاديرها وصفاتها بحسب كبر الذنوب وصغرها، وبحسب حال المذنب، وبحسب حال الذنب في قلة وكثرة».

السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدون من ذلك فقالا: «أدركْنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويناً فكان من مذهبهم...» - إلى أن قال -: «فإن الجهاد ماض منذ بعث الله - عزّ وجلّ - نبيَّه - عليه الصلاة والسلام - إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء[1]».

وإذا عينّا أمراء الجهاد؛ فكأننا نقيم دولة بدون مشورة أهل الحل والعقد.

قال عمر: «من بايع إماماً من غير مشورة من المسلمين؛ فلا يُبايَع هو ولا الذي بايعه تغرَّة أن يُقتلا»[2].

قال ابن تيمية: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلا بالعقوبات الشرعية؛ فإن الله يَزَعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وإقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور، وذلك بالعقوبة على ترك الواجبات وفعل المحرمات؛ فمنها عقوبات مقدرة؛ مثل جلد المفتري ثمانين، وقطع السارق، ومنها عقوبات غير مقدرة قد تسمى التعزير؛ وتختلف مقاديرها وصفاتها بحسب كبر الذنوب وصغرها، وبحسب حال المذنب، وبحسب حال الذنب في قلة وكثرة»[3].

الشرط الثاني: تميّز الصفوف:

مما يدل على هذا الشرط قوله - تعالى -:

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/١٧٦ - ١٧٨).

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/١٠٧).

﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم مَعَرَّةٌ بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيَّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾ [الفتح : ٢٥] .

قال القرطبي (٢٨٦/١٦ وما بعدها) :

«هذه الآية دليل على مراعاة الكافر في حرمة المؤمن ، إذ لا يمكن إذاية الكافر إلا بإذاية المؤمن .

قال أبو زيد : قلت لابن القاسم : أرأيت لو أن قوماً من المشركين في حِصْن من حصونهم ، حصرهم أهلُ الإسلام وفيهم قوم من المسلمين أسارى في أيديهم ، أيحرق هذا الحصن أم لا؟ قال : سمعت مالكاً وسئل عن قوم من المشركين في مراكبهم ؛ أنرمي في مراكبهم بالنار ومعهم الأسارى في مراكبهم؟ قال : فقال مالك : لا أرى ذلك ؛ لقوله - تعالى - لأهل مكة : ﴿لو تزيَّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾ .

وكذلك لو تترَّس كافر بمسلم لم يجز رميه ؛ وإن فعل ذلك فاعل فأتلف أحداً من المسلمين ؛ فعليه الدية والكفارة ، فإن لم يعلموا فلا دية ولا كفارة ؛ وذلك أنهم إذا علموا فليس لهم أن يرموا ، فإذا فعلوه صاروا قتلة خطأ ، والدية على عواقلهم ، فإن لم يعلموا فلهم أن يرموا ، وإذا أبيحوا الفعل لم يجز أن يبقى عليهم فيها تباعة .

قال ابن العربي : وقد جوّز أبو حنيفة وأصحابه والثوري الرمي في حصون المشركين ، وإن كان فيهم أُسارى من المسلمين وأطفالهم ، ولو تترّس كافر بولد مسلم رمي المشرك ، وإن أصيب أحد من المسلمين ؛ فلا دية فيه ولا كفارة .

وقال الثوري : فيه الكفارة ولا دية ، وقال الشافعي بقولنا ؛ وهذا ظاهر ، فإن التوصل إلى المباح بالمحظور لا يجوز ، سيما بروح المسلم ، فلا قول إلا ما قاله مالك - رضي الله عنه - ، والله أعلم .

قلت (القرطبي) : «قد يجوز قتل الترس ، ولا يكون فيه اختلاف - إن شاء الله - ، وذلك إذا كانت المصلحة ضرورية كلية قطعية ، فمعنى كونها ضرورية : أنها لا يحصل الوصول إلى الكفار إلا بقتل الترس ، ومعنى أنها كلية : أنها قاطعة لكل الأمة حتى يحصل من قتل الترس مصلحة كل المسلمين ؛ فإن لم يفعل قتل الكفار الترس واستولوا على الأمة . . . الفرض أن الترس مقتول قطعاً ؛ فإما بأيدي العدو فتحصل المفسدة العظيمة التي هي استيلاء العدو على كل المسلمين ، وإما بأيدي المسلمين فيهلك العدو وينجو المسلمون أجمعون .

ولا يتأتى لعاقل أن يقول : لا يقتل

الترس في هذه الصورة بوجه ؛ لأنه يلزم منه ذهاب الترس والإسلام والمسلمين» .

الشرط الثالث: توفّر القدرة:

قال الشيخ سعيد عبدالعظيم مبيناً حدَّ الاستطاعة :

«نصوص الكتاب والسنة كثيرة في بيان أنه لا تكليف إلا بمستطاع ومقدور للعباد ، وأن الواجبات - كالصيام والحج والجهاد - تسقط بالعذر ، والعجز ، وعدم الاستطاعة ، قال - تعالى - : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة : ٢٨٦] ؛ فلله الحمد والمنة والفضل والنعمة فقد سهل ورفق ، ووضع عنا الإصر والأغلال التي وضعها على من كان قبلنا ؛ وقد اتفق العلماء على أن التكليف بما لا يطاق ليس واقعاً في الشرع ؛ قال - تعالى - : ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج : ٧٨)] .

وقال - تعالى - : ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [البقرة : ١٨٥] .

ويقول - سبحانه - : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن : ١٦] . ويقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم : «من رأى منكم منكراً ؛ فليغيره بيده ، فإن لم يستطع ؛ فبلسانه ، فإن لم يستطع ؛ فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1] .

وهكذا ؛ فأنت ترى كيف يسقط الإنكار باليد واللسان عند عدم الاستطاعة ، وروى أبو

داود عن ابن عباس قال : نزلت ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ [الأنفال : ٦٥] فشق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم ألا يفر واحد من عشرة ثم إنه جاء التخفيف ، فقال : ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ - إلى قوله - : ﴿مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾ [الأنفال : ٦٦] قال : «فلما خفّف الله - تعالى - عنهم من العدد نقص من الصبر بقدر ما خَفّف عنهم» .

وقال ابن العربي : «قال قوم : إن هذا كان يوم بدر ونسخ ؛ وهذا خطأ من قائله» ، قال القرطبي : «قلت : وحديث ابن عباس يدلُّ على أن ذلك فرض ، ثم لما شق ذلك عليهم حَطّ الفرض إلى ثبوت الواحد للاثنين ، فخفّف عنهم ، وكتب عليهم ألا يفرَّ مئة من مئتين فهو على هذا القول تخفيف لا نسخ . وهذا حسن» اهـ .

وأخرج البخاري ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس ؛ قال : «لما

(١) (٦٩/١ ـ رقم ٤٩) «كتاب الإيمان ـ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان . . .» .

نزلت : ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ فكتب عليهم أن لا يفرَّ واحد من عشرة ، وأن لا يفر مئة من مئتين ، ثم نزلت : ﴿الآن خفّف الله عنكم﴾ الآية ؛ فكتب أن لا يفرَّ مئة من مئتين، قال سفيان : «وقال ابن شُبْرُمة : وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا ، إن كانا رجلين أمرهما وإن كانوا ثلاثة فهو في سعة من تركهم» .

قال في «المهذب» : «إن زاد عددهم على مثلي عدد المسلمين ، جاز الفرار ؛ لكن إن غلب على ظنهم أنهم لا يهلكون ، فالأفضل الثبات ، وإن ظنوا الهلاك فوجهان :

الأول : يلزم الانصراف لقوله - تعالى - : ﴿ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة : ١٩٥] .

الثاني : فيستحبّ ولا يجب ؛ لأنهم إن قتلوا فازوا بالشهادة .

وإن لم يزد عدد الكفار على مثلي عدد المسلمين ، فإن لم يظنوا الهلاك لم يجز الفرار ، وإن ظنوا ؛ فوجهان : يجوز لقوله - تعالى - : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة : ١٩٥] ولا يجوز ، وصححوه ، لظاهر الآية ، وقال الحاكم : «إن ذلك يرجع إلى ظن المقاتل واجتهاده ، فإن ظن المقاومة لم يحلَّ الفرار ، وإن ظن الهلاك جاز الفرار إلى فئة وإن بعدت ، إذ لم يقصد الإقلاع عن الجهاد» ، وذهب ابن الماجِشون ، ورواه عن مالك : «أن الضعف إنما يعتبر في القوة لا في العدد ، وأنه يجوز أن يفر الواحد عن واحد إذا كان أعتق جواداً منه ، وأجود سلاحاً ، وأشد قوة ، وهذا هو الأظهر» اهـ .

وقال ابن جُزَيّ الغرناطي المالكي : «لا يجوز الانصراف من صف القتال إن كان فيه انكسار المسلمين ، وإن لم يكن ؛ فيجوز لمتحرِّف لقتال أو متحيز إلى فئة ، والتحرف للقتال ، هو : أن يظهر الفرار وهو يريد الرجوع مكيدةً في الحرب ، والتحيز إلى الجماعة الحاضرة جائز ، واختُلف في التحيز إلى جماعة غائبة من المسلمين ، أو مدينة ، ولا يجوز الانهزام إلا إذا زاد الكفار على ضعف المسلمين ، والمعتبر العدد في ذلك على المشهور ، وقيل : القوة ، وقيل : إذا بلغ عدد المسلمين اثني عشر ألفاً لم يحل الانهزام ، ولو زاد الكفار على الضعف ، وإن علم المسلمون أنهم مقتولون فالانصراف أولى ، وإن علموا مع ذلك أنهم لا تأثير لهم في نكاية العدو وجب الفرار ، وقال أبو المعالي : «لا خلاف في ذلك» ، والجهاد بمفهومه الصحيح - على ضوء الواقع الذي يمر به المسلمون - لن يقوم على أكتاف أفراد قلائل ، بل إن جهاد المئة والمئتين ضرره - كما نرى - أكثر من نفعه ، ولا تعارض بين ما ذكرنا ونقلنا وبين قوله - تعالى - : ﴿كم من فئة قليلة غلبة فئة كثيرة﴾ [البقرة : ٢٤٩] فالنصوص قد خرجت

من مشكاة واحدة ، ولا يُظَنّ بنصوص الوحي وجود تعارض : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء : ٨٢] وقوله - تعالى - : ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ [البقرة : ٢٤٩] تحريضٌ على القتال واستشعار للصبر واقتداء بمن صدق ربه ، **قال القرطبي: «هكذا يجب علينا نحن أن نفعل، لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة منعت من ذلك حتى ينكسر العدد الكبير قدام اليسير من العدو كما شاهدناه غير مرة؛ وذلك بما كسبت أيدينا ! وفي البخاري: وقال أبو الدرداء: «إنما تقاتلون بأعمالكم»، وفيه - مسنداً - أن النبي ﷺ قال: «هل ترزقون وتنصرون إلا بضعائفكم؟!»؛ فالأعمال فاسدة، والضعفاء مُهْمَلون، والصبر قليل، والاعتماد ضعيف، والتقوى زائلة ! قال الله - تعالى -: ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا﴾ [آل عمران : ٢٠٠] وقال: ﴿وعلى الله فتوكلوا﴾ [المائدة : ٢٣] وقال: ﴿إن الله مع الذين اتَّقَوْا والذين هم محسنون﴾ [النحل : ١٢٨] وقال :﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ [الحج : ٤٠] وقال: ﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال : ٤٥].**

فهذه أسباب النصر وشروطه، وهي معدومة عندنا غير موجودة فينا، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحلَّ بنا ! بل لم يبق من الإسلام إلا اسمهُ، ولا من الدين إلا رسمُه؛ لظهور الفساد، ولكثرة الطغيان، وقلة الرشاد، حتى استولى العدو شرقاً وغرباً، براً وبحراً وعمّت الفتن، وعظمت المحن، ولا عاصم إلا من رحم ! اهـ.

وإذا كان هذا هو الحال على زمن الإمام القرطبي ؛ فكيف بزماننا نحن ؟!

فإلى الله المشتكى من غربة الإسلام وسط أهله وبنيه ، ولا يخفى عليك أننا عندما نتحدث عن حكم دفع مال للكفار إذا خيف استئصال شأفة المسلمين ، وكذلك حديثنا عن عدم الاستطاعة ؛ إنما هو تقرير للواقع وحكمه ؛ وليس فرحاً بما قد يصل إليه الحال ، كما أنه ليس مُسوِّغاً نعلّق عليه تكاسلنا وتخاذلنا في الأخذ بالأسباب والعمل بالطاعات المستطاعة والمقدورة بالنسبة لنا - والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله -»[1] .

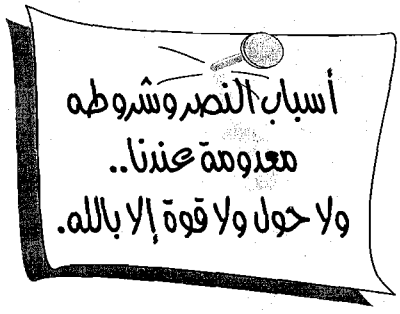

(١) «تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد» (ص٢٧ - ٣١) .

حكم إلقاء السلام على المصلِّي

● بقلم: أبي البراء محمد ماهر الخطيب

قد اشتد الجدل ، واحتد النقاش ، واحتار العامّة ، في مسألة إلقاء السلام على المصلي ، هل يشرع أم يمنع؟ وأرجح كلام في هذا المقام ، هو استحباب إلقاء السلام على المصلي : فعن جابر ، أنه قال : إن رسول الله ﷺ بعثني لحاجة ، ثم أدركته وهو يسير ، - قال قُتيبة : يُصَلّي - فسلّمت عليه ، فأشار إلي ، فلما فرغ دعاني ؛ فقال : «إنك سلّمت علي آنفاً وأنا أصلي» ، وهو موّجه حينئذٍ قبل المشرق[1] .

وعنه - رضي الله عنه - ، أنه قال : أرسلني نبي الله ﷺ إلى بني المصطلق ، فأتيته وهو يصلي على بعيره ، فكلّمته ، فقال لي بيده هكذا ، ثم كلّمته ، فقال لي بيده هكذا ، وأنا أسمعه يقرأ ويومئ برأسه ، فلما فرغ ، قال : «ما فعلت في الذي أرسلتك؟ فإنه لم يمنعني أن أكلمك إلا أني كنتُ أصلي»[2] .

وعن صهيب ، أنه قال : مررت برسول الله ﷺ ، وهو يصلي فسلمت عليه ، فرد إشارة ، قال : ولا أعلمه إلا قال إشارة بإصبعه[3] .

وعن عبدالله بن عمر ، قال : خرج رسول الله ﷺ إلى قُباء ، يصلي فيه ، قال : فجاءته الأنصار ، فسلّموا عليه وهو يصلي ، قال : فقلت لبلال : كيف رأيت رسول الله ﷺ يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي؟ قال : يقول هكذا - وبسط كفه - ، وبسطَ جعفر بن عون كفَّه ، وجعل بطنه في أسفل ،

(١) مسلم (٥٤٠) بعد (٣٦) .

(٢) مسلم (٥٤٠) بعد (٣٧) ، وغيره .

(٣) أبو داود (٩٢٥) . وغيره .

وجعل ظهره إلى فوق[1] .

وعن نافع ، أن عبدالله بن عمر مر على رجل وهو يصلي ، فسلّم عليه ، فرد الرجل كلاماً ، فرجع إليه عبدالله بن عمر ، فقال له : إذا سُلِّم على أحدكم وهو يصلي فلا يتكلّم وليشر بيده[2] .

قال ابن حجر : «فقد وردت أحاديث جيدة أنه ﷺ رد السلام إشارة وهو يصلي ، منها حديث أبي سعيد : «أن رجلاً سلّم على النبي ﷺ وهو يصلي ، فرد عليه إشارة» ، ومن حديث ابن مسعود نحوه» .

وقال : «والنهي عن السلام بالإشارة مخصوص بمن قدر على اللفظ حِسّاً وشرعاً ، وإلا فهي مشروعة لمن يكون في شغل يمنعه من التلفظ بجواب السلام ، كالمصلي . . .»[3] .

قال الشوكاني : «(فائدة) : ورد في كيفية الإشارة لرد السلام في الصلاة حديث ابن عمر عن صهيب ، قال : لا أعلمه إلا أنه أشار بإصبعه ، وحديث بلال قال : كان يشير بيده ؛ ولا اختلاف بينهما ، فيجوز أن يكون أشار مرة بأصبعه ، ومرة بجميع يده ، ويحتمل أن يكون المراد باليد الإصبع حملاً للمطلق على المقيد ، وفي حديث ابن عمر عند أبي داود : «أنه سأل بلالاً : كيف رأيت رسول الله ﷺ يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي؟ فقال : يقول هكذا ، وبسط جعفر بن عون كَفَّه ، وجعل بطنه أسفل ، وجعل ظهره إلى فوق» ؛ ففيه الإشارة بجميع الكف ، وفي حديث ابن مسعود عند البيهقي بلفظ : «فأومأ برأسه» ، وفي رواية له : «فقال برأسه» يعني : الردّ ، ويجمع بين الروايات بأنه ﷺ فعل هذا مرة وهذا مرة ، فيكون جميع ذلك جائزاً»[4] .

قال الصنعاني عن حديث عمر : «والحديث دليل أنه إذا سلّم أحد على المصلي رد عليه السلام بالإشارة دون النطق»[5] .

سُئل أحمد عن الرجل يدخل على قوم وهم يصلون ، أيسلم عليهم؟ قال : «نعم» ، وروى ابن المنذر عن أحمد أنه سلّم على مصلٍ[6] .

قال النووي : «هذه الأحاديث فيها فوائد ؛ منها : تحريم الكلام في الصلاة سواء

(١) أبو داود (٩٢٧) .
(٢) «الموطأ» في (العمل في جامع الصلاة) .
(٣) «الفتح» (١١/١٤ ، ١٩) .
(٤) «النيل» (٢/٣٧٨) .
(٥) «سبل السلام» (١/٢٦٤) .
(٦) «المغني والشرح الكبير» (١/٧١٢) .

كان لمصلحتها أم لا ، وتحريم ردّ السلام فيها باللفظ ، وأنه لا تضرُّ الإشارة ؛ بل يستحب رد السلام بالإشارة»[1] .

قال ابن القيم : « . . . ولم يكن النبي ﷺ يردُّ بيده ولا رأسه ولا إصبعه إلا في الصلاة ؛ فإنه كان يردّ على من سلّم عليه إشارة ، ثبت ذلك عنه في عدة أحاديث ، ولم يجىء عنه ما يعارضها إلا بشيء باطل لا يصح عنه . . .»[2] .

لكن المانعين من رد السلام إشارة في الصلاة استدلوا بحديث ابن مسعود في «الصحيحين» ، وغيرهما ، والذي فيه : «فلم يرد علينا» ؛ قال الشوكاني : « . . . لكنه ينبغي أن يحمل الرد النفي هنا على الرد بالكلام لا الرد بالإشارة ؛ لأن ابن مسعود نفسه قد روى عن رسول الله ﷺ أنه رد عليه بالإشارة ، ولو لم ترد عنه هذه الرواية لكان الواجب هو ذلك جمعاً بين الأحاديث»[3] .

وهذا الذي ذهب إليه الشوكاني هو الحق ، فعن عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود ، عن أبيه ، عن جده : «أنه كان يسلم على رسول الله ﷺ وهو يصلي ، فيرد السلام ، ثم إنه سلم عليه وهو يصلي فلم يردَّ عليه ؛ فظن عبدالله أن ذلك من موجدة من رسول الله ﷺ ، فلما انصرف قال : يا رسول الله ! كنت أسلم عليك وأنت تصلي فترد علي ، فقال : «لا ؛ ولكنا نهينا عن الكلام في الصلاة ، إلا القرآن والذكر»[4] .

وعن أبي سعيد الخدري ، أن رجلاً سلم على رسول الله ﷺ وهو يصلي فرد النبي ﷺ بإشارة ، فلما سلم قال له النبي ﷺ : «إنا كنا نرد السلام في صلاتنا فنهينا عن ذلك»[5] .

قال الألباني : «إن الرجل الذي سلم على النبي ﷺ هو عبدالله بن مسعود ، كما روى أبو هريرة عنه قال : «مررت برسول الله ﷺ وهو يصلي ، فسلمت عليه فأشار إلي» ، وكان ذلك عند قدومه من هجرته - رضي الله عنه - من الحبشة ؛ صح ذلك عنه من غير ما طريق ، وتقدم تخريجه في المجلد الخامس من السلسلة «الصحيحة» (رقم : ٢٣٨٠) وفي «الروض» أيضاً (٦٠٥) ، وفي الحديث دلالة صريحة على أن رد السلام من المصلي لفظاً

(١) «مسلم بشرح النووي» (٢٧/٥) .

(٢) «زاد المعاد» تحقيق الأرناؤوط (٤١٩/٢) ، وراجع - لزاماً - المرجع نفسه (٢٦٧/١) .

(٣) «النيل» (٣٧٧/٢) .

(٤) الطبراني في «الكبير» (١٠١٢٩/١٠) ، وانظر «السلسلة الصحيحة» (رقم : ٢٣٨٠) .

(٥) الطحاوي في «شرح المعاني» (٤٥٤/١) .

كان مشروعاً في أول الإسلام في مكة ، ثم نُسخ إلى رده بالإشارة في المدينة ، وإذا كان ذلك كذلك ؛ ففيه استحباب إلقاء السلام على المصلي ، لإقراره ﷺ ابن مسعود على إلقائه ، كما أقر على ذلك غيره ممن كانوا يسلِّمون عليه وهو يصلي ، وعلى ذلك فعلى أنصار السنة التمسُّكُ بها ، والتلطُّفُ في تبليغها وتطبيقها ؛ فإن الناس أعداء لما جهلوا ، ولا سيما أهل الأهواء والبدع منهم[1]» .

واستدلوا أيضاً بما رواه أبو داود وغيره : «لا غرار في صلاة ولا تسليم» .

الغرار في الصلاة : النقص في هيآتها وأركانها ، وأما التسليم المنهي عنه هنا ؛ فيحمل على الرد باللفظ لا بالإشارة ؛ جمعاً بين الأدلة[2] .

واستدلوا أيضاً بما رواه أبو داود : «من أشار في صلاته إشارة تفهم عنه فليعدها» ؛ يعني : الصلاة ؛ فهذا حديث منكر[3] .

قال الشوكاني : «وعلى فرض صحته ينبغي أن تحمل الإشارة المذكورة في الحديث على الإشارة لغير رد السلام والحاجة ، جمعاً بين الأدلة»[4] ، والحمدُ لله ربِّ العالمين .

المراء في الدين

قال محمد بن الحسين في كتابه «الشريعة» (١/٤٣٤):

«لما سمع هذا أهل العلم؛ من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين لم يماروا في الدين، ولم يُجادلوا، وحذَّروا المسلمين المِرَاءَ والجدالَ، وأمروهم بالأخذ بالسُّنن، وبما كان عليه الصحابة - رضي الله عنهم -، وهذا طريق أهل الحقِّ ممَّن وفَّقه الله تعالى».

(١) «الصحيحة» (٦/٩٩٨ - ٩٩٩) بتصرف .

(٢) انظر لزاماً «نيل الأوطار» (٢/٣٧٧) ، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/٥٦٨) ، و«الضعيفة» (٣/٢٢٦) .

(٣) راجع «زاد المعاد» تحقيق الأرناؤوط ، و«الضعيفة» (١١٠٤) ، و«ضعيف سنن أبي داود» (٢٠٠) .

(٤) «النيل» (٢/٣٧٨) .

قواعد في الطب النبوي

● بقلم: الشيخ: محمد بن موسى آل نصر

خلق الله الخلق لعبادته وطاعته ، وخَلَقهم من أرواح وأجساد ، وأنزل لهم من الأحكام الشرعية والتكاليف التعبدية ما يحفظ أبدانهم وأرواحهم ، وأخرج لهم من طيبات الأرض ما يحفظ صحة أبدانهم ؛ قال - تعالى - : ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ .

فالطيِّب غذاء نافع ، والخبيث والنجس سمٌّ قاتل ؛ لذلك أحل الله لهذه الأُمة ، الطيباتِ وحرّم عليهم الخبائثَ .

قال - تعالى - : ﴿ويُحِلُّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ .

وهذا من أعظم مقاصد بعثة الرسول ﷺ ، فقد كان نبينا محمد ﷺ أحرص وأرحم رسل الله على خلقه ، خصوصاً على أمته - كما وصفه ربُّه بقوله - : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عَنِتُّمْ حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ ، وما ترك ﷺ خيراً إلا دل أُمته عليه ، ولا ترك شراً إلا حذر أمته منه ، ومن جملة ذلك : حثه على ما يحفظ لهذه الأمة صحتها وعافيتها ودفع ما يؤذيها في أجسادها وأرواحها ، وتحذيرها من كل مُؤْذٍ وضارٍّ بها قبل وقوعه - وهو ما يسمى بالطب النبوي الوقائي - ؛ الذي استفاضت به السنة ، بل وحث عليه القرآن قبل ذلك .

وتستطيع أن تقول : إن قواعد حفظ الصحة التي بينَّها القرآن والسنة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولاً: حفظ الصحة ، وقد أشار ربنا إلى ذلك في قوله - تعالى - : ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فَعِدَّة من أيام أُخَر﴾ .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «فأباح الفطر للمريض لعذر المرض ، وللمسافر لاجتماع شدة الحركة وما يوجبه من

فالصحة نعمة عظيمة من نعم الله ينبغي المحافظة عليها؛ لأنها تعين على طاعة الله، وفي الحديث الصحيح: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». وهي أول ما يسأل عنه العبد من النعم يوم القيامة أن يقال له: «ألم أصح جسمك وأروِكَ من الماء البارد».

التحليل، فأباح للمسافر الفِطْرَ حفظاً لصحته وقوته عما يضعفها».

ثانياً: الحِمْيَة عن المؤذي، وهذه القاعدة أشار إليها ربنا - تبارك وتعالى - بقوله: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أَحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾.

فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب؛ حمية له أن يصيب جسده ما يؤذيه، وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل أو خارج.

ثالثاً: استفراغ المادة الفاسدة، وهذه القاعدة أشار إليها ربنا بقوله: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾.

فأباح للمريض ومن به أذى من رأسه من قُمَّل أو حُكَّة أو غيرهما أن يحلق رأسه في الإحرام؛ استفراغاً لمادة الأبخرة الرديئة التي أوجبت له الأذى في رأسه باحتقانها.

ومن هنا جاءت الأحاديث الصحيحة المستفيضة بالوصية بالحجامة؛ حتى إن النبي ﷺ أُمر بها في الملأ الأعلى ليلةَ المعراج: «ما مررت بملأ من الملائكة ليلة المعراج إلا قالوا: يا محمدُ مرْ أُمتك بالحجامة».

وقال: «إذا كان الشفاء في شيء؛ ففي ثلاث: شرطة محجم، أو لعقة عسل، أو كية نار، وأنهى عن الكي».

فاحتباس المادة الفاسدة في جسم الإنسان سببٌ رئيسٌ لكثير من العلل القاتلة، وقد ذكر الأطباء والعلماء - كابن القيم وغيره - عشرة أشياء يؤدي احتباسها إلى أمراض قاتلة ١- الدم إذا هاج ٢- والمنيّ إذا تبيّغ ٣- والبول

٤- والغائط ٥- والريح ٦- والقيء ٧- والعُطاس ٨ - والنوم ٩ - والجوع ١٠ - والعطش ؛ وكل واحد من هذه العشرة يوجب احتباسُه داءً من الأدواء بحسبه .

والمرض الذي يبينه القرآن مرضان

أولاً : مرض قلوب . ثانياً : مرض أبدان

أما مرض القلوب ؛ فهو على قسمين :

مرض شبهة وشك ؛ ومرض شهوة وغي .

أما مرض الشبهة والشك : فقد أشار إليه المولى - تبارك وتعالى - بقوله : ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾ ، وقوله : ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ ، وقوله : ﴿أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا﴾ ، وهذا المرض أشد فتكاً وخطراً من الثاني ، وهو الشهوة والغي .

وقد أشار ربنا إلى الثاني بقوله : ﴿يا نساء النبي لَسْتُنَّ كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي : مرض شهوة الزنا .

أما مرض الأبدان : فقد ذكره ربنا في كتابه بقوله : ﴿ليس على الأعمى حَرَجٌ ولا على الأعرج حَرَجٌ ولا على المريض حَرَجٌ ، وهذا الأخير قسمان :

١ - ما هو فطري كالجوع والعطش والتعب ٢ - وما يحتاج إلى فكر وتأمُّل وخبرة ومراس .

وهو طب الأُمم والشعوب ، وقد جاء الرسول ﷺ بطب الأرواح والأبدان ، وأمر أُمته بما يحفظ أبدانها وقوتها وصحتها ؛ لأن سلامة دينها في سلامة بدنها ، وهذا معنى قول الرسول ﷺ : «المؤمن القوي خير وأَحب إلى الله - تعالى - من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير» .

وقوله : «تداوَوْا عباد الله ؛ فإن الله لم يجعل داءً إلا جعل له دواءً إلا الهرم» .

فالصحة نعمة عظيمة من نعم الله ينبغي المحافظة عليها ؛ لأنها تعين على طاعة الله ، وفي الحديث الصحيح : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ» .

وهي أول ما يسأل عنه العبد من النعم يوم القيامة ؛ أن يقال له : «ألم أصح جسمك وأَروك من الماء البارد !!» .

ومن حاز العافية حاز خيراً عظيماً ، وملكاً كثيراً ، قال ﷺ : «من أَصبح آمنا في سربه معافىً في جسده عنده قوتُ يومه ؛ فكأنما حِيزت له الدنيا بحذافيرها» .

لذلك فالعافية مُلك خفي وهي تاج على رؤوس الأَصحاء ، لا يبصره إلا المرضى - وقانا الله وسائر إخواننا المسلمين سائر الأَدواء والأوباء بمنه وكرمه ، والحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة - .

* * * * *

وجاؤوا يركضون... مهلاً يا (حُماةَ) الضلالة !!

الإسلام وتكسير الأصنام

● التحرير

الحمدُ لله وحدَه ، والصلاةُ والسلام على مَن لا نبيّ بعده .

أمّا بعد : فقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (برقم ٩٦٩) ـ بسنده ـ إلى أبي الهيَّاج الأسَدي ؛ قال : قال لي علي بن أبي طالب : ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : «أن لا تَدَعَ تمثالاً إلا طمَسْتَهُ ، ولا قبراً مُشْرِفاً إلا سوَّيته»؟! ، وفي لفظ له ـ عقبه ـ : «ولا صورة إلا طمستها» ، وفي لفظ للطبراني في «المعجم الصغير» (١٥٢) ، و«المعجم الأوسط» (٢٠٥٩) : «لا تَدَع تمثالاً إلا كسرته» ، وفي لفظ للبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٤) : «ولا تمثالاً في بيت إلا طمسته» .

ولفظةُ (تمثال) نكرة في سياق العموم ؛ فتشمل كل تمثال بلا استثناء ، وهذا ما جاء في لفظ لأحمد في «المسند» (٨٩/١ ، ١١١) : «أمرني أن أُسوِّي كلَّ قبر ، وأطمس كلّ صنم» .

وهذا لفظٌ قويٌّ ، واضحٌ جليٌّ ؛ فلا يجوزُ العدول عنه بالاحتمالات والأوهام والظنون ، التي يروّجها ـ اليوم ـ المنهزمون أمام المدَنية المادية ، المنبهرون بعَدَدها وعُدَدها ؛ المدافعون ـ زعموا ! ـ عن كفريّات بعض الأمم السابقة ، وشركيّاتها تحت اسم (الآثار) و (التراث) !!

والعجب أنَّ بعضاً ممن يدَّعون (العلم) ، وينتسبون إلى (الثقافة) يحتجُّون (!) بوجود أصنام في عدد من البلدان (الإسلامية) التي دخلها بعض الصحابة ، فتوهّموا أنهم ـ رضي الله عنهم ـ رأَوْها وأقرُّوها ، وما علموا : أن البعثات الأثرية الصليبية هي التي نقَّبَتْ

عنها ، وأظهرتها ، وروّجت لها ، وما علموا : أن أعداء الإسلام هم الذين أسّسوا لهم (هيئات) ، و(جمعيات) ، و(منظمات) تدافع عنها وتحميها !!

ولا نرى هذا الإسقاط الكاسد إلا بسبب ذاك السقوط الفاسد في الانبهار المقيت بمدنية الغرب ـ سيّئها قبل حسنها ! ـ فتراهم يتركون (المُحْكَم) (المنصوص) عليه ـ الأكيد) ، ويعملون بأمر (متشابه) بعيد ، و(محتمل) غير سديد !

مع أنه قد ثبت في «صحيح مسلم» (٦٦٦/٢) عن ثُمامةَ بن شُفَيّ ـ رضي الله عنه ـ ، قال : كنا مع فَضالة بن عُبيد بأرض الروم ـ برودُس ـ ؛ فتوفّي صاحبٌ لنا ، فأمر فَضالةُ بقبره فسُوِّيَ ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها .

وهذا الأمر ـ من نبينا ﷺ ـ صيانةٌ لجناب التوحيد ، وحمايةٌ لقاعدة العقيدة ؛ فتحطيم الأصنام ـ تحت أيِّ اسم كانت ! وفي أيّ قُطر وُجدت ـ ! أمرٌ لا بد منه من باب أولى ؛ قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «زاد المعاد» (٤٥٨/٣) : «وأما محلُّ الصور ، فَمَظِنَّةُ الشرك ، وغالب شرك الأُمم كان من جهة الصور والقبور» .

وقد ذكر ـ رحمه الله ـ ذلك في مَعْرِض الفوائد الفقهية المستنبطة من خبر فتح مكة ، وقد ثبت في «الصحيحين» ـ ضمنها ـ : «ثم طاف ﷺ بالبيت ، وفي يده قوسٌ ، وحول البيت ـ وعليه ـ ثلاثُ مئة وستّون صنماً ، فجعل يطعنها بالقوس ، ويقول : ﴿جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطل كان زَهوقاً﴾ [الإسراء : ٨١] ، ﴿جاء الحقُّ وما يبدئ الباطلُ وما يُعيد﴾ [سبأ : ٤٩] ، والأصنام تتساقط على وجهها» .

وبوَّب الإمام النوويُّ ـ رحمه الله ـ على حديث مسلم ـ هذا ـ وهو فيه برقم (١٧٨١) ـ في «شرحه» ـ بـ (باب إزالة الأصنام من حول الكعبة) .

وقد ذكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «زاد المعاد» كلاماً في التعليق على خبر آخر في تحطيم الأصنام ـ وتكسيرها ـ ؛ يفرحُ به الموحّدون ، قال ـ رحمه الله ـ (٥٠٦/٣ ـ ٥٠٧) : «لا يجوز إبقاءُ مواضع الشرك والطواغيت (بعد القدرة على هدمها وإبطالها) يوماً واحداً ؛ فإنها شعائرُ الكفر والشرك ، وهي أعظمُ المنكرات ، فلا يجوز الإقرار عليها مع (القدرة) ألبتّة .

وهذا حكمُ المَشاهد التي بُنيت على القبور التي اتُّخذت أوثاناً وطواغيت تُعبد من دون الله ، والحجار التي تُقصَدُ للتعظيم والتبرُّك ، والنَّذْر والتقبيل ، لا يجوز إبقاءُ شيء منها على وجه الأرض مع (القدرة) على إزالته ، وكثيرٌ منها بمنزلة اللات والعُزَّى ، ومَناة الثالثة الأُخرى ، أو أعظم ـ شركاً عندها ـ ، وبها ـ ، والله المستعان .

❖ والعجب أنَّ بعضاً ممن يدَّعون (العلم)، وينتسبون إلى (الثقافة) يحتجُّون (!) بوجود أصنام في عدد من البلدان (الإسلامية) التي دخلها بعض الصحابة، فتوهّموا أنهم ـ رضي الله عنهم ـ رأوها وأقرُّوها، وما علموا: أن البعثات الأثرية الصليبية هي التي نقَّبَتْ عنها، وأظهرتها، وروّجت لها..

ولم يكن أحدٌ من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تَخلق وترزق، وتُميت وتحيي، وإنما كانوا يفعلون عندها ـ وبها ـ ما يفعله إخوانهم من المشركين ـ اليوم ـ عند طواغيتهم، فاتّبَع هؤلاء سَنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القُذَّة بالقُذَّة، وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وغَلَبَ الشركُ على أكثر النفوس، لظهور الجهل، وخفاء العلم، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهَرِمَ عليه الكبير، وطُمِست الأعلام، واشتدَّت غربةُ الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتدَّ البأسُ، و﴿ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبَتْ أيدي الناس﴾؛ ولكنْ لا تزالُ طائفةٌ من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله ـ سبحانه ـ الأرضَ ومن عليها، وهو خير الوارثين».

نعم؛ ما زالت طائفةٌ ظاهرةً على الحق، تجاهد بنوره، وتصدع بحقّه، يحملون هذا العلم الذي هو الدين؛ ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين.

ولَمَّا كان التاريخُ مرآةً للواقع، وعبرةً للناظر؛ رأينا أن نَضَعَ بين أيدي إخواننا الكرام بعضَ الأخبار التاريخية المشابهة للحَدَث الذي نعالجه، ونُبيِّن الحكم الشرعيَّ فيه، وقامت على إثره وسائل الإعلام ـ ولم تقعد! ـ، وملأت الدنيا ضجيجاً، ألا وهو: خَبَرُ كسر أضخم تمثالين ـ، بل صنمين! ـ لِـ (بوذا) ـ إله البوذيين المعبود ـ في العالم.

وقد استمالت هذه (الضجّة) (أُناساً) نطقوا باسم (الدين)، وتكلّموا بلسان (الشرع المبين)، بغير علم ولا يقين؛ (قد) يكونُ كثيرٌ منهم ذوي نيّة حسنة (!)، ولا ننفي ضدَّها

من بعضهم (!) ؛ ولكنّ النيّة الحسنة لا تجعلُ الباطل حقاً !! فأفتى (هؤلاء) مسارعين بمنع ذلك ! ويا ليتهم سكتوا ، فإن أكبر أعوان الظالمين : سكوتُ الصالحين ، ونُطقُ الطالحين ! بل (طاروا) إلى بلاد الأفغان ! وتهافتوا عليها تهافُتَ الفراش في (النار) ؛ لإنقاذ الأصنام تحت اسم (الآثار) !!!

والخبرُ الذي سنبدأُ بذكرهِ قديمٌ ، وفيه درس للصادقين ، قام به بعض الولاة (العادلين) من ولاة المسلمين ، ذكره الإمام ابن كثير (المتوفّى سنة ٧٧٤هـ) في حوادث سنة ثمان عشرة وأربع مئة) من كتابه «البداية والنهاية» (١٢/٣١ ـ ٣٢) ، قال :

«وفيها ورد كتابٌ من محمود بن سُبُكْتِكين [وهو فاتح الهند ، وصفه ابن كثير بـ «الإمام العادل ، يمين الدولة ، وأمين الملة ، وقد توفّي سنة (٤٢١هـ)] ، يذكر أنه دخل بلاد الهند ـ أيضاً ـ ، وأنه كسر الصنم الأعظم الذي لهم المسمى بـ (سومَنات) ، وقد كانوا يَفِدُون إليه من كلِّ فجّ عميق ! كما يَفِدُ الناسُ إلى الكعبة البيت الحرام وأعظمَ ، ويُنفقون عنده النفقاتِ والأموالَ الكثيرة ، التي لا تُوصَفُ ولا تُعَدّ ، وكان عليه من الأوقاف عشرةُ آلاف قرية ومدينة مشهورة ، وقد امتلأت خزائنُه أموالاً ، وعنده ألفُ رجل يخدمونه ، وثلاث مئة رجل يحلقون رؤوسَ حجيجه ، وثلاث مئة رجل يغنُّون ويرقصون على بابه لمّا يُضْرَب على بابه (!) الطبولُ والبوقات (!) ، وكان عنده من المهاجرين ألوفٌ يأكلون من أوقافه ، وقد كان البعيدُ من الهنود يتمنّى لو بلغ هذا الصنم ، وكان يَعوقُهُ طولُ المفاوز ، وكثرة الموانع والآفات ، ثم استخار اللهَ السلطانُ محمودٌ لما بلغه خبرُ هذا الصنم وعُبّاده ، وكثرة الهنود في طريقه ، والمفاوز المُهلِكة ، والأرض الخَطِرة ، في تجشُّم ذلك في جيشه ، وأن يقطعَ تلك الأموالَ إليه ، فندب جيشَه لذلك ؛ فانتُدِبَ معه ثلاثون ألفاً من المقاتلة ، ممن اختارهم لذلك ، سوى المتطوِّعة ، فسلّمهم اللهُ حتى انتهَوْا إلى بلد هذا الوَثَن ، ونزلوا بساحة عُبّاده ، فإذا هو بمكانٍ بقَدْر المدينة العظيمة ، قال : فما كان بأسرعَ من أن مَلَكْناه ، وقتلنا من أهله خمسين ألفاً ، وقلَعْنا هذا الوثن ، وأوقَدْنا تحته النار .

وقد ذكر غيرُ واحد : أن الهنودَ بذلوا للسلطان محمود أموالاً جزيلةً ؛ ليترك لهم هذا الصنم الأعظم !! فأشار مَن أشار من الأُمَراء على السلطان محمود بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم (!!) [ما أشبه اليوم بالبارحة !] ، فقال : حتى أستخيرَ اللهَ ـ عزّ وجلّ ـ ، فلما أصبح ، قال : إني فكّرتُ في الأمر الذي ذُكر ؛ فرأيتُ أنه إذا نُوديتُ يوم القيامة : أين محمودٌ الذي كسَر الصنم؟ أحَبُّ إليّ من أن

يُقال : الذي ترك الصنم ؛ لأجل ما ينالُه من الدنيا ! ثم عزم ، فكسَرَه ـ رحمه الله ـ ، فوجد عليه ـ وفيه ـ من الجواهر واللآلئ والذهب والجواهر النفيسة ما ينيفُ على ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة [وصدق رسول الله ﷺ : «مَن ترك شيئاً لله : عوّضه اللهُ خيراً منه»] ، ونرجو الله له في الآخرة الثوابَ الجزيلَ الذي مثقالُ دانَقٍ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها ، مع ما حصَلَ له من الثناء الجميل الدُّنيوي ، فرحمه اللهُ وأكرَم ثوابه» .

وذَكَرَ هذا الخبرَ ـ أيضاً ـ الإمامُ الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» (١٧/٤٩١) ، وابنُ الأثير في «الكامل» (٩/٣٤٢) ، وابنُ الجوزي في «المنتظم» (٨/٢٩) ـ وغيرهم ـ .

ولقد نقل العلامةُ ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨هـ) في «مقدمته» ـ المشهورة ـ (٢/٥٥٦) أنّ الخليفة هارون الرشيد عَزَمَ على هَدْمِ إيوان كسرى وتخريبه ؛ لكنه ضَعُف عنه ، وعَجَزَ دونه . . .

ونقل ـ أيضاً ـ (٢/٨٥٠) محاولةَ المأمون هَدْمَ أهرام مصر ، وجَمْعَه الناسَ لذلك ، ثمّ عَجَزَ ـ أيضاً ـ عن ذلك ، ولم يقدر على شيء مما هنالك ؛ سوى ثُقْبٍ صغيرٍ في بعض جوانبه . . .

وَنَقَل العلامةُ عبداللطيف البغدادي (المتوفى سنة ٦٢٩هـ) في كتابه «الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المُعايَنة بأرض مصر» (ص٤٤) خبرَ تهديم بعض الأهرامات الصغيرة ـ في الجيزة ـ في عهد النّاصر صلاح الدين الأيُّوبي ، على يَدَي الوزير قَراقوش . . .

وبعد :

فإنَّ الموحِّدين يفرحون بتحطيم الأصنام ؛ على اختلاف أشكالها ، وحجومها ، وأماكن وجودها ، وزمان حدوثها ، وتعدُّد أسمائها . . .

وينبغي أن يكون ذلك ـ كلُّه ـ ضمن قواعد فقه الدعوة المستنبط من الكتاب والسنة بفهم سلف الأُمة ؛ وهي :

* أن يُفتي بذلك العلماءُ الربانيُّون ، حماة التوحيد وحُرّاس العقيدة .

* القدرةُ على إزالة المنكر بحيث لا يُفضي إلى منكر أعظم ، أو يثير فِتَناً لا تُبقي ولا تَذَر .

* أن يتولّى ذلك أولو الأمر ممن ولاهّم اللهُ أمرَ المسلمين .

ولْيُنظَرْ كتابُ «إعلام الموقّعين» (٣/٤ ـ ٥) للإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ .

ونقول ـ ثمَّة ـ لمن شَغَلَ الرأيَ العامَّ ـ والخاصَّ ! ـ بتحطيم أكبر أصنام العالَم ـ ونرجو أن يكونَ ذلك منهم (تديّناً) ، لا (سياسةً) !! وإلا لَحطَّموا هذه الأصنام ـ كما يُقال ـ في ليلة لا قمرَ فيها !! وعلى القاعدة النبوية الإبراهيميّة : ﴿بل فَعَلَهُ كبيرُهُم هذا﴾ ! ـ ولم

يُفرِّقوا بين الأصنام البوذيّة والهندوسيّة ، فحطّموا الأولى ، وتركوا الأخيرة !! ألَم يأنِ لكم ـ إن أردتم الحقَّ الصُّراح ـ أن تتنبَّهوا إلى ما عندكم من (قُبور) ، و(قِباب) ، و(مشاهدَ) ، و(مقامات) ؛ تُمارَس عندها كثيرٌ من (العبادات) الشركية التي ليس للإسلام فيها نصيب !! من طوافٍ بها ، وصلاةٍ لها ، وتوجُّه إليها ، ودُعاء عندها ، وذبحٍ ونذرٍ لها ، مثل (مزار شريف !!) وأشباهه؟!

فـ (تكسيرُ الأصنام) و(تسوية القبور) جاء ذكرُهُما في خبر واحد ، فلماذا يُعمل بالأوّل ، ويُنسى ـ بل يُتناسى ـ الثاني؟! هذا تحكُّمٌ وقولٌ بالتّشهِّي ، ولا سيما ـ إذا علمتَ ـ أخي ـ حفظك الله ورعاك ـ «أن كثيراً من الجهاد في (أفغانستان) كان بقيادة القبورية» ـ وللأسف الشديد ـ ؛ كما قال الشيخ الدكتور شمس الدين الأفغاني ـ رحمه الله ـ في كتابه العُجاب «جهود علماء الحنفيّة في إبطال عقائد القبوريّة» (٤٥٩/١) ، وأهلُ الدار أدرى بمن فيها ، وأعرفُ بمكنوناتها وخوافيها !!

فأهلُ أفغانستان مذهبُهم ـ أيّدهم اللهُ بالحقّ ـ مذهب الإمام أبي حنيفة ، وللحنفيّة جهودٌ مشكورةٌ في إبطال عقائد القُبوريّة ، كما بيّن ذلك بما لا مزيدَ عليه العلامة الشمس الأفغانيّ ـ رحمه الله ـ في كتابه المذكور .

فيا تُرى ! بِمَ نفسّر تعصُّبَهم للمذهب وللقبوريِّين في آن ـ وهما ضِدّان ـ؟! مع حماستهم بتكسير الأصنام والأوثان؟!

هل هو ـ منهم ـ حرصٌ على عقائد المسلمين وأهل الإيمان؟! أم هي السياسة الوضعيّة : القائمةُ على المصالح الوقتيّة ، والمكاسب الأرضية ، والمنافع الآنيّة؟! وليتهم حقّقوا شيئاً من ذلك !!

. . . لقد آنَ لأهل التوحيد ، وعلماء العقيدة ؛ أن ترتفع بالحقّ أصواتهم ؛ لِتُنادِي بالنكير على هذا الحدَث الجَلَل ؛ الذي يُرَوَّجُ فيه (الكفرُ) باسم (الإسلام) ، و(الوثنية) باسم (الحضارة) ، و(الشرك) باسم (التُّراث)؟!

وأين هي الوفودُ السائرة ، والرؤوسُ (الطائرة) ـ المتسارعة إلى كابول ! ـ يومَ أن هُدم المسجد البابَريُّ في الهند؟!

وأين هي ـ الآنَ ـ من المحاولات ـ طويلة النَّفَس ! ـ في تقويض المسجد الأقصى ؛ تمهيداً لهدمه !؟

وأين هي من قضايا المسلمين المشتعلة في أرجاء الدنيا ؛ وبخاصة الجريحةَ فلسطين؟!

والله ـ وحده ـ المستعان .

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربَّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربَّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقةَ لنا به واعفُ عنا واغفرْ لنا وارحمنا أنت مولانا فانصُرْنا على القوم الكافرين﴾ .

كشاف تحليلي لأعداد مجلة «الأصالة»

من (١٣ - ٣٠)

		العدد	الصفحة
الإعلام الإسلامي			
الإعلام الإسلامي في مواجهة التغريب	صالح السدلان	١٩	٣٥
الاقتصاد الإسلامي			
المستقبل الاقتصادي للأمة الإسلامية	مجدي وردة	١٨	٥٤
الربا : فقه وأنواعه وأحكامه	محمد المنشاوي	٢٧	٦٠
التصفية وتربية			
وضوح الغاية وأثرها في استقامة المسلم	ضياء الدين	١٣ - ١٤	٤٦
تعجيل الهزيمة لمخالفي الرسل	عبدالمالك الجزائري	٢٢	٥٤
معوقات في طريق العلم الشرعي	صالح السدلان	٢٤	٥٥
قواعد في مخالفة المخالفين للسنة	عبدالله العبيلان	٢٧	٢٨
الرجوع إلى الحق	محمد خير العبود	٢٩	٤٣
السلوك وتزكية النفوس			
الإسلام والتربية	خالد محمد علي الحاج	١٥ - ١٦	٤٥
المعصية وأثرها السيء في المجتمع	رائد صبري	١٧	٦٠
إصلاح حديث النفس	سعد آل عبداللطيف	١٩	٤٧
نصيحة وذكرى	عبدالعزيز بن باز	٢٠	٣٢

قواعد تأهل الفرد المسلم للعلم الشرعي	صالح السدلان	٢١	٤٠
التلازم بين العلم والعمل	صالح السدلان	٢٢	٤٠
التوضيح والبيان لمعاني الإحسان	محمد المهر	٢٤ ، ٢٧	٣٤ ، ٤٥
أهمية الصدق وضرورته لقيام الدنيا والدين	ربيع المدخلي	٢٨	٥١
موقف المؤمن من الشبهات	محمود عطية	٢٩	٢١
منهج الشيخ الألباني في التزكية	حسين العوايشة	٢٣	٤٤
الرأي الآخر			
مناظرة أهل الكتاب	سعد الحصين	١٩	٢١
القراء منهم وإليهم			
		١٥ - ١٦	١٣٣
		١٧	١١٢
الكتب تعريفاً ونقداً			
وقفات مع كتاب «السلفية» للبوطي	محمد منفيخي	١٥ - ١٦	٥٦
بيان كذب ما ينسب للإمام أحمد	سعد العنزي	١٩	٦٤
نقد طبعة (أبو صبهان الكرمي) من صحيح البخاري	علي الحلبي	٢٠	٤٧
من ضلالات الغماري في تعليقه على «التمهيد»	عمر الأحمد	٢١	٥٣
أمالي نظام الملك	مشهور حسن	٢٢ ، ٢٤	٢٩ ، ٤٩
وقفات منهجية مع كتاب «لماذا أعدموني»	عبدالحميد الجزائري	٢٧	٤٠
«مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية»	علي الحلبي	٢٨	٤٨

الكلم الطيب

الخصومة	مشهور حسن	١٣ - ١٤	١٠
المؤمن مفتن	علي الحلبي	١٥ - ١٦	١١
الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة على سيد الكائنات ﷺ	مشهور حسن	١٧	١٢
اتق المحارم	عبدالعظيم بدوي	١٩	٨
إصلاح ذات البين	أحمد طاهر أويس	٢٠	١٣
الراحمون يرحمهم الرحمن	محمد موسى نصر	٢١	١٣
فقه الابتلاء في ضوء حديث خباب بن الأرت	سليم الهلالي	٢٢	١٤
تنبيه العبد الأوّاه	سليم الهلالي	٢٤	١٤
قراءة منهجية في أحاديث الخوارج	سليم الهلالي	٢٧	١٣
من أعلام نبوته ﷺ	سليم الهلالي	٢٨	١١
عاقبة أهل الغدر	محمد موسى نصر	٢٩	١٦
حديث قتال اليهود رواية ودراية	علي الحلبي	٣٠	٧
اغتنم خمساً قبل خمس	عبدالعظيم بدوي	١٨	١٥

الوجه والوجه الآخر

أفلت العلمانية ولكن . . .؟	أسامة شحادة	١٣ - ١٤	١٢٢

آفات على الطريق

الدنيا وحطامها	محمد موسى نصر	١٣ - ١٤	١٧
لم تقولون ما لا تفعلون	محمد موسى نصر	١٥ - ١٦	٢٣
أمجاد الذات	محمد موسى نصر	١٧	٥٧
طغيان القلم	محمد موسى نصر	١٩	١٩
المنُّ سوءٌ	علي الحلبي	٢٤	٥٣
إمامان عالمان وكلمتان حكيمتان	علي الحلبي	٢٧	٤٨

أحوال العالم الإسلامي

التحرير		١٣ - ١٤	١٢٧
التحرير		١٥ - ١٦	١٣٣

أخلاق ورقائق

ليسأل الصادقين عن صدقهم	محمد شقرة	١٧	٤٨

أدب الألفاظ

ألفاظنا في ميزان الشرع	إبراهيم المعازي	١٨	٤٧

أعداد خاصة

• عدد خاص في وفاء وثناء للعالم الرباني محمد ناصر الدين الألباني		٢٣	
• تنوير الأرجاء بتحقيق مسائل : الايمان والكفر والإرجاء		٢٥ - ٢٦	
• عدد خاص عن فلسطين المحتلة		٣٠	

أصول وقواعد

كلمات في فهم القرآن والسنة	محمد بن صالح بن عثيمين	١٣ - ١٤	٣٥
فقه الاختلاف	سالم المرفدي	١٧	٧٨

تأملات قرآنية

﴿ . . فأضلونا السَّبيلا . .﴾	علي الحلبي	١٣ - ١٤	٨
رحمة الأمة	مشهور حسن	١٥ - ١٦	٧
الاستقامة طريق السلامة	علي الحلبي	١٧	١٠
وما كان ربك نسياً	علي الحلبي	١٩	٧
التوحيد وأثره في الولاية الشرعية	فتحي عبدالله سلطان	٢٠ ، ٢١	٦
الساعي إلى سبيل الرشاد	فتحي عبدالله سلطان	٢٢ ، ٢٤	٧
المحاسبة وأثرها في تحقيق الإيمان	فتحي عبدالله سلطان	٢٧	٧
فأين تذهبون	هشام العارف	٢٨	٨
خلاصة الأثر في تأويل قوله تعالى :			

﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾	سليم الهلالي	٢٩	٧
معالم الصراط المستقيم	محمد موسى نصر	١٨	٩
تحقيقات			
أسماء المؤلفات والتحقيقات للعلامة الألباني	علي حسن	٢٢، ٢٣	٦٧، ٧٨
توجيهات إسلامية			
كلمات إلى المربين والمربيات	محمد جميل رينو	١٣ - ١٤	٥٥
نهج الدعاة	عبدالعظيم بدوي	١٧	٤٠
رسالة عاجلة إلى العلماء والدعاة	سعود ملوح العنزي	١٧	٣٨
حوار العلماء			
من أدب الرسائل ورسائل الأدب	محمد شقرة	١٨، ١٩	٣٤، ٢٣
نعم ؛ غرباء الزمان والمكان ؛ ولكن طوبى لهم	محمد شقرة	٢١	٦٩
دراسات إصطلاحية			
التنبيهات والإشارات لتقوية المجهول إذا روى عن الثقات	حمد العثمان	١٥ - ١٦	١٢٧
ردود وشهبات			
الكوثري والكوثرية	الشمس السلفي الأفغاني	١٥ - ١٦	١٠٢
الانتصار لحزب الله المفلحين	سعد العنزي	١٧	٩٠
ركن الطفل المسلم			
أشعار تربوية إيمانية	خير الدين وانلي	١٥ - ١٦	١٣٠
صفحات في النقد الذاتي			
هل نحن قوم سلفيون	أحمد سلام	١٣ - ١٤	١١٧
المرآة	علي الحلبي	١٨	٤٥
فاتحة القول			
من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه	التحرير	١٣ - ١٤	٥

مَنْ للإسلام	التحرير	١٥ - ١٦	٥
تعظيم شأن العلماء	التحرير	١٧	٦
هل جاءت فأكلت أولادها؟	التحرير	١٩	٥
إخوان العلانية أعداء السِّر	التحرير	٢٠	٥
الاستقامة على الطريق ومن لها؟	التحرير	٢١	٥
الحزبية بين الوقاية والعلاج	التحرير	٢٢	٥
صولة الحق والمسؤولية الكبرى	التحرير	٢٤	٥
التأصيل . . . الحل الأمثل	التحرير	٢٧	٥
أصالة «الأصالة» في موارد النزاع	التحرير	٢٨	٥
تحرير المصطلحات أو تكسيرها	التحرير	٢٩	٥
صراعنا مع اليهود صراع وجود لا صراع حدود	التحرير	٣٠	٥
القضايا الكبار	التحرير	١٨	٦
الحق بدلائله لا بقائله	التحرير	٢٥ - ٢٦	٤
كلمة وفاء في أمين العلماء	التحرير	٢٣	٧
فرق ومذاهب			
السبأية	يوسف خليفة	١٧	٣٢
في السنة وعلومها			
السنة النبوية بين أتباعها وأعدائها	سليم الهلالي	١٣ - ١٤	١٠٢
		١٥ - ١٧	١٢٢، ١٦
في السياسة الشرعية			
نماذج من سيرة الدعاة إلى الله	صالح السدلان	١٥ - ٦	٤٥
الفرق بين الجهاد في سبيل الله والخروج على الحكام	عثمان الصومالي	٢١	٤٣
بعض الضوابط في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	عثمان الصومالي	٢٢	٦٠

نيل السؤدد بالعلم	عبدالمالك الجزائري	٢٤	٤٠
حقيقة العلم الشرعي الضروري لبناء جيل مسلم	صالح السدلان	٢٧	٥٠
موقف اليهود من الإسلام	عبد العزيز بن باز	٣٠	٤٥
الجهاد النبوي في فلسطين		٣٠	٣١
في رياض اللغة			
أضواء حول قضية المجاز	مصطفى الصياصنة	١٥ - ١٦	٢٥
قيم إسلامية			
الاعتصام وأسبابه	علي الفقيهي	١٣ - ١٤	٣٨
ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	محمد شقرة	١٥ - ١٦	٣٦
الرجولة في الكتاب والسنة	محمد موسى نصر	٢٠	١٩
كتب وكتاب			
منهج الإمام الطبري في تفسيره	أكرم زيادة	٢٤	٧٤
غثاء الكتابة	يزيد حمزاوي	١٧	٦٦
«مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض	مشهور حسن	٢٠ ، ٢١	٥٣ ، ٥٩
كلمات في الدعوة والمنهاج			
خلل في المنهج	سعود ملوح العنزي	١٣ - ١٤	١٢
فقه الدعوة	أحمد سلام	١٥ - ١٦	١٧
نماذج من سيرة الدعاة إلى الله	صالح السدلان	١٧	٩٩
السلفيون والسياسة	سليم الهلالي	١٨ ، ١٩	٢٩ ، ٣٢
ضوابط الهجر الشرعي	سليم الهلالي	٢٠ ، ٢١	٢٦
دروس في منهج السلف	عبدالله العبيلان	٢٢	٣٣
رفع الحجاب عن الفرق بين دعوة أهل السنة ودعوة أهل الأحزاب	أبو الحسن المأربي	٢٤ ، ٢٧	٦٧ ، ٥٥

من آثار السلف في الحكم على المرء بقرينه	جمال الحارثي	٢٨	٤٥
الدعوة إلى الله بين اليسر والعسر	سعد الحصين	٢٩	٢٦
الطائفة المنصورة والبلاد المقدسة	سليم الهلالي	٣٠	١٧
مسؤولية الأمة في الدفاع عن علم الأمة	فتحي سلطان	٢٣	٤٩
مباحث حديثية			
التحذير من الكذب على الله ورسوله	محمد موسى نصر	٢٤	٢٦
شيخنا الألباني محدثاً	سليم الهلالي	٢٣	٢٨
مباحث عقدية			
عقوبة من حكم بغير ما أنزل الله	خالد العنبري	١٣ - ١٤	١٩
كلمة التوحيد	محمد بن صالح العثيمين	١٥ - ١٦	١٣
علم الغيب وأحوال الكهنة والعرافين	محمد الخميس	١٧	٢٨
مع موالد بعض الأولياء	محمد الخميس	١٩	١٥
الولاء والبراء الشرعي والحركي	سعد الحصين	٢٠	٢٢
مواقف أهل البيت من الرافضة ومن عقيدتهم	إبراهيم الرحيلي	٢١	١٧
الدرة السّنية في العقيدة السّلفية	فخر الدين المحسي	٢٢	١٨
شروط لا إله إلا الله	عبدالله الجونم	٢٤	٢١
عاقبة أهل البدع	محمد موسى نصر	٢٧	١٧
الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم	سعد الحصين	٢٨	١٥
ضوابط الكلام في أنواع الكفر وتقسيماته	فتحي سلطان	٢٩	٦٧
وحدة الأديان أو التقريب بينها	اللجنة الدائمة	١٨	٢٢
جهود العلامة الألباني في العقيدة	علي الحلبي	٢٣	٣٧

مباحث فقهية

زخرفة المساجد وتزويقها	علي الشبل	١٩	٥٧
أحكام فقهية تهم الحجاج والمعتمرين	علي رضا	١٩	٦١
حكم العادة السرية	عبدالعزيز بن باز	١٧	٧٢
زواج المتعة وحرمته المؤبدة في الإسلام	أحمد آل سلوم	٢٢	٧٣
تتبع رخص الفقهاء	إبراهيم المزروعي	٢٩	٣١
معالم في فقه الشيخ الألباني	مشهور حسن	٢٣	٣٣

متابعات

المؤتمر السنوي الثامن لجمعية القرآن والسنة في أمريكا	محمد الجبالي	١٥ - ١٦	٩٤
الجائزة الفيصلية	محمد شقرة	٢٠	٥٩
حوار مع الشيخ ابن عثيمين		٢٨	٧١
يوم الافتتاح العلمي لمركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمي		٣٠	٧٥
أصداء ومتابعات عن وفاة الشيخ الألباني		٢٣	٦٥

مسائل وأجوبتها

فتاوى عامة	محمد ناصر الدين الألباني	١٣ - ١٤	٩٥
فتاوى عامة	محمد ناصر الدين الألباني	١٥ - ١٦	١١٩
فتاوى عامة	محمد ناصر الدين الألباني	١٧	٧٠
فتاوى عامة	محمد ناصر الدين الألباني	١٩	٧٣
تنبيه الأنام على مسألة القيام	محمد ناصر الدين الألباني	٢٠	٦٤
فتاوى عامة	محمد ناصر الدين الألباني	٢١	٧٣
من فتاوى الشيخ ابن باز		٢١	٧٨

فتاوى عامة	محمد ناصر الدين الألباني	٢٢	٧٥
بيان من هيئة كبار العلماء حول مسألة التكفير		٢٨ ، ٢٩	٧٨ ، ٩٠
خارجية عصرية	ربيع المدخلي	٢٤	٨٨
فتاوى العلماء في ظاهرة الاعتصامات والمظاهرات والثورات الشعبية والاضراب	علي لوز	٣٠	٥٩
مسك الختام			
مُحدَّثون أم مُحْدِثون	التحرير	١٣ - ١٤	١٣٢
دوائر مقاطعة	التحرير	١٥ - ١٦	١٣٧
العُجب	التحرير	١٧	١١٤
المخرج من المحنة	التحرير	١٩	٧٨
شخصية المسلم	التحرير	٢٠	٧٨
عاقبة المتقين	التحرير	٢١	٨٥
إنها الربانية : تصفية وتربية	التحرير	٢٢	٨٠
من خصائص دعوتنا : تحرير العقول		٢٤	٩٠
وسقطت الأقنعة	التحرير	٢٧	٨٣
الهوى	التحرير	٢٨	٩٤
الألباني ومدرسته بين الناصحين والقادحين	التحرير	٢٩	٨٠
معالم الاهتداء في عوامل النصر على الأعداء		٣٠	٨٠
النصيحة ، ديانة وأمانة		٢٥ - ٢٦	١٧٩
مصطلح وبيان			
إن الدين يسر	أم مالك	١٥ - ١٦	٣٣
كلمة حول الجهاد	يوسف سليمان	١٧	٩٦

الإسراف والتبذير		٢٠	٣٦
الفكر التنويري في الميزان	محمد موسى نصر	٢٨	٤٢
بصائر الهدى والهداية	علي الحلبي	٢٩	٤٠
مناقشات			
حول قصيدة البردة	مجد المغراوي	١٥ - ١٦	٧٥
مناهج العلماء			
الشاطبي حسنة من حسنات مدرسة ابن تيمية	مشهور حسن	٢٧	١٩
منهج الإصلاح عند الشاطبي	مشهور حسن	٢٨ ، ٢٩	٣٢ ، ٤٨
من بدائع التفاسير			
رأي آخر في الإعجاز العلمي	سعد الحصين	١٨	١٢
من جعبة التاريخ			
قصة إسلام سلمان الفارسي	أحمد شقيرات	١٣ - ١٤	٨٧
بين عالم وحاكم	عمر الأحمد	١٥ - ١٦	٨٩
اسطورة : وامعتصماه	سعد الحصين	٢٤	٥٠
تزوير اليهود كنيسة بيت المقدس	مشهور حسن	٣٠	٣٤
قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع		٣٠	٦٩
من ذاكرة المحبين وكلماتهم			
جفت الصحف ورفعت الأقلام	محمد شقرة	٢٣	١٥
ذكرياتي عن أول لقاء بالشيخ الألباني	حمدي السلفي	٢٤	٨٢
العلامة الألباني بين الذابين عنه والرادين عليه	عبدالله الموجان	٢٨	٧٩
ست سنوات في بيت الشيخ الألباني	محمد الخطيب	٢٣	٥٥
من نفائس المخطوطات			
أمالي نظام المُلك	مشهور حسن	١٨ ، ١٩	٥٧ ، ٤١

مواضيع عامة

فقهاء آخر زمان	ابن الجوزي	١٩	٥٦
من خطب السلف	عمر بن عبدالعزيز	٢٠	٧٢
خطبة الجمعة وفقه الواقع	سعود ملوح العنزي	٢٠	٧٣
رأي أمر في خطبة الجمعة	سعد الحصين	٢١	٦٥
تحذير وبيان على كتاب «أحكام التقرير بأحكام التكفير» .	التحرير	٢١	٨٠
المشاحة في الاصطلاح	سعد الحصين	٢٢	٢٨
الإمام مكي بن أبي طالب واختباراته	محمد موسى نصر	٢٢	٢١
غربتان في غربة	محمد شقرة	٢٢	٧٢
الموازنة بين المحاسن والمساوئ عند النقد	زيد المدخلي	٢٤	٦٢
التقرب إلى الله بالمعصية	سعد الحصين	٢٧	١٥
الحور بعد الكور	إبراهيم المزروعي	٢٧	٦٧
الدعوة السلفية	محمد ناصر الدين الألباني	٢٧ ، ٢٨	٧٤ ، ٨٧
ترجمة الشيخ محمد بن عبدالله الصومالي	عمر السبيل وحسن المعلم	٢٧	٧٩
كوني عتبة بيتك	أكرم زيادة	٢٨	٦٨
من كلمات السلفيين في قضية فلسطين	لجنة المتابعة	٣٠	٢٢
الصحيح المستقى في فضائل المسجد الأقصى		٣٠	٩
ترجمة موجزة عن الشيخ الألباني	التحرير	٢٣	١٠
نكبة العصر بموت إمام العصر	محمد موسى نصر	٢٣	٢١
فلسطين والعيد	محمد البشير الإبراهيمي	٣٠	٧٣

واحة التراث

الأرقام . . . !	أحمد السبع	٢٧	٤٦

واحة الشعر السلفي

دفاع عن أهل الحديث	سلطان الشمري	١٥ - ١٦	٣٠
الحقيقة	خير الدين وانلي	٢١	٥١
أرجوزة السلام في مجددي الإسلام	فهد البلادي	٢٤	٣٥
العدوان الروسي على الشيشان	خير الدين وانلي	٢٧	٢٧
القدس الشريف واليهودية	خير الدين وانلي	٣٠	٦٦

واحة العلم

مَنْ العلماء الذين تسعد بهم الأمة	محمد إبراهيم شقرة	١٣ - ١٤	٧٣
العلم والتعلم وفضل العلماء	صالح السدلان	٢٨	٦٣
العلم الشرعي للرجل والمرأة سواء	صالح السدلان	٢٩	٦١
قبض العلم بموت العلماء	عبدالمحسن العباد	٢٣	١٣

وفاء ورثاء

أبيات قيلت في مستهل تقديم الشيخ الألباني الفائز بجائزة الدراسات الإسلامية	عبدالله العثيمين	٢٠	٦٣
السنَّواء	أمة الله الجزائرية	٢٤	٨٦
مضى إلى الله (وفاة الألباني)	عادل المراكشي	٢٣	٤٦
العلامة الشيخ عبدالرزاق عفيفي	التحرير	١٣ - ١٤	٣٢
رثاء الشيخ ابن عثيمين	مركز الإمام الألباني	٣٠	٧٧
رثاء ابن تيمية القرن العشرين	خير الدين وانلي	٢٣	٦٣
رحم الله الألباني	محمد رضا	٢٣	٨٤